منتديات الإمام الآجري

التفسير السياسي للإسلام

درس لفضيلة الشيخ

محمد سعيد رسلان

فرّغه واعتنى به:

أبو ابراهيم رضوان بن محمد آل اسماعيل

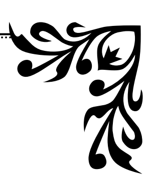
منتديات الإمام الآجري



درس لفضيلة الشيخ
محمد سعيد رسلان

فرّغه واعتنى به :
أبو إبراهيم رضوان بن محمد آل إسماعيل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله ، وعلى آله وصَحبِه ومَن وَالاهُ .

أمَّا بعدُ ..

فَقد قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وسلَّمَ مُبيِّـنًا أثَـرَ البيئةِ والمُجتمعِ على عَقيدةِ الإِنسانِ وفِكرهِ وتوَجُّهاتِهِ في أمورِ دِينهِ ودُنياهُ ، مُبَيِّنًا أهَميَّـةَ صَلاحِ الأساسِ وسَلامَـتهِ ليُـثمِـرَ بَعدُ بناءً مُستقيمًا صالحًا ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فيما يَرويهِ عَنهُ راوي الإسلامِ أبو هريرةَ رضيَ الله عنه مَرفوعًا : ﴿ كُلُّ مَوْلودٍ يولَدُ عَلى الفِطْرَةِ ، فَأَبواهُ يُهَوِّدانِـهِ ، أَوْ يُنَصِّرانِـهِ ، أَوْ يُمَجِّسانِـهِ ﴾[1] .

(فَنُقطةُ الانطِلاقِ هِيَ أهمُّ شيءٍ في حَياةِ الإِنسانِ ، فَإذا تصَوَّرنا ـ مثلًا ـ أنَّ كافرًا أسْلَمَ ، فـقُـيِّضَ لهُ رافضيٌّ فعَرفَ الإسلامَ مِن خلالِه ، فإنَّنا نَجدُه بعدَ حينٍ قَصيرٍ يَتعبَّـدُ بسَبِّ الصَّحابةِ وتكفيرِهم ، ولا يَعرِفُ الإسلامَ سِوى ما عَرفَ ؛ وذلك لأنَّ النُّقطةَ الأسَاسَ ولأنَّ نُقطةَ الانطلاقِ لم تكنْ مُوفَّقةً . وكذلكَ كلُّ مُتعبِّدٍ لله تباركَ وتعالى إذا كانَ مُتعبِّدًا بجَهْلٍ ، فإنَّه يُؤذِي نفسَه ولا يزدادُ ـ بالاجتهادِ في بِدعتِه ـ عن الله إلّا بُعدًا) .

(وقد يُقَـيَّـضُ للواحدِ مِنهم إخوانيٌّ ، فلا يَعرفُ الدِّينَ إلا عَن طريقِه ، ويَلتزمُ بما يُملِيه عليهِ ، بِحيثُ إنَّه يَعُدُّ كلَّ ما وراءَ ما يَعرفُه عَن طريقِه مِن الخطأِ المحضِ) .

(١) رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) .

(فإذَا أرادَ الإنسانُ النَّجاةَ فإنَّه ينبغِي عليهِ أنْ يجتهدَ في معرفةِ الدِّينِ الذي جاءَ به محمَّـدٌ صـلَّى اللهُ عليـهِ وعلَى آلِهِ وسلَّمَ ؛ يَعرف الأصولَ التي هي أصولُ دين الإسلامِ العظيم ، يَعرف ما لا يكونُ المسـلمُ مُسـلمًا إلَّا به ، يَعرف التَّوحيدَ في جُملتِه ، ويتبرَّؤ مِن الشِّركِ في جُملتِه وفي تـفاصيلِه ، ويَعـرف مـا ينبغـي أنْ يَعرفـه مِن أمور العبادةِ عِلمًا مُحكَمًـا غير مفصَّلٍ ، ولكنه مُنضبطٌ في النِّهايةِ على حُدودِ الكتابِ والسُّنة) .

وهذهِ مُحاضرَةٌ قيِّمةٌ للشَّيخِ محمَّد بن سعيد رسلان حفظهُ اللهُ تعالى يُبيِّنُ فِيها أَهميَّةَ الالتِفـاتِ إلى نقطَـةِ البدايةِ وتَصْحيحِها ، معَ تحريرِ الغايَةِ والقَصدِ ، وخُطورةِ الإخْفـاقِ في نقطـةِ الانطِـلاقِ الَّـذي يُـؤدِّي إلى الوُقوعِ في مَزالِقِ الانحِرافِ والضَّلالِ ، ثُمَّ لاسبيلَ إلى الخُروجِ منهُ إلَّا بالرُّجوعِ إلى سبيلِ الحقِّ الَّـذي هـوَ اتِّباعُ القُرآنِ والسُّنَّةِ بِفهمِ السَّلفِ الصَّالحِ ، وَإلَّا فإنَّ الخطَّ مُمتدٌّ على استِقامتِهِ .

وهذه المقدمةُ المهمَّةُ جعلَها الشيخُ تمهيدًا للموضوعِ المهمِّ الذي تحدَّثَ عنه في هذه المحاضرةِ (1) ، فيقولُ حفظهُ اللهُ تعالَى بعدَ تلك المقدِّمةِ :

فعلى كلِّ مسلمٍ من شيخٍ وشابٍّ أنْ يُحـرِّرَ قصدَه ، وأنْ يلتفتَ إلى الوسيلةِ التي يَـتوسَّل بها للوُصول إلى غايتِه ؛ لأنَّ هنالك خطأً شائعًا هو أشنعُ وأفظعُ وأخطرُ خطأٍ أُصِيبَت به مسيرةُ الإسلامِ في العُصور الحاضِرة ، **وهو تفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سِيَـاسِيًا** .

ثمَّ بيَّنَ حفظهُ اللهُ تعالى مَعنى هذا التَّفسيرَ المنحَرفِ ومن قالَ بِهِ أولًا ومَن انحَرَفَ بانحِراف قائله ثانيًا ، وما تَبِعهُ من نتائجَ خطيرَةٍ وعَواقِبَ وخيمَةٍ على المجتَمعاتِ الإسلاميَّةِ ، فقالَ حفظه الله تعالى :

نَتَج عنه قيامُ حركاتٍ دينـيَّـةٍ سياسيَّـةٍ متطـرِّفـةٍ ، تَعملُ ضِدَّ الأنـظـمةِ السياسيَّـةِ القائـمةِ ، إسـلاميَّـةً كانت أو غيرَ إسلاميةٍ ، بِدَعـوَى إقامةِ الحكومةِ الإلـٰـهيَّـةِ ، و وَصل الأمرُ إلى الخـطورةِ القُصوَى ، إذْ إنَّ

---

(1) هذه المحاضرةُ بعنوان : التفسيرُ السياسيُّ للإسلامِ ، ألقاها الشيخُ حفظه الله تعالى يومَ الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤٣٠ وهي المحاضرةُ الرابعة عشرة ضِمنَ الملفِّ الخاصِّ بسيِّد قُطب ، وما بينَ قوسين (...) مُقتَبسٌ مِن كلام الشَّيخ حفظه الله تعالى في هذه المحاضرةِ .

الشبابَ المسلمَ في الوطنِ العربيِّ وفي خارجِه بدأَ يتـأَثَّر بهـذه التفاسـيرِ السياسيَّـةِ المتطرِّفـةِ ، فيـؤدِّي دَورَ المواجهَةِ السياسيَّـةِ ليتحـطَّم على صخرَتِها مِن دُونِ فائدةً ، مُتوَهِّـمًا أنه قد أدَّى دورَ الجهادِ في سبيلِ الله .

ثمَّ ختمَ الشَّيخُ حفظهُ اللهُ تعالى المحاضرةَ بتوجيه رسالةٍ إلى كلِّ مسلمٍ وقعَ في الانحِرافِ لإخفاقِهِ في نُقطةِ الانطِلاقِ ، فَيوصيهِ بالرُّجوعِ إلى الدِّينِ الصَّحيحِ ، وعَرضِ ما هوَ عليهِ مِن الأفكارِ والآراءِ على الكِتابِ والسُّنةِ وما كانَ عليهِ سلفُ هذهِ الأُمَّةِ .

وبتوفيقٍ مِن الله تعالَى قُمتُ بتفريغِ هذه المحاضَرةِ ، وسِرتُ في ذلك علَى الآتي :

* قَسَّمْتُ المحاضَرةَ إلى فقَراتٍ ، وجَعلتُ لِكُلِّ فقرَةٍ عُنوانًا مُناسِبًا .

* قمتُ كذلك بِتَشكيلِ الكلماتِ وضَبْطِها ، حتَّى يَتَمكَّنَ القارئُ مِن قِراءَتِها بِشَكلٍ صَحيحٍ .

* علَّقتُ علَى مواضع من المحاضرة ؛ لبيانِ معنَى كلمةٍ ، أو لتوثيقِ عبارةٍ ، أو لذكرِ فائدةٍ ، وما أشبه .

وقَبْلَ أنْ أختِمَ أُحبُّ أنْ أشكرَ القائمينَ على موقعِ الشَّيخ محمَّد سعيد رَسلان علَى مايَبذُلونَهُ مِـن جُهـدٍ في نَشـرِ العِلمِ الصَّحيحِ القائِمِ علَى الكتابِ والسُّـنَّةِ ، فَجزاهُم اللهُ خَيرًا ، وكذلكَ أشكرُ كلَّ مَـن سـاعدَني في هذا العملِ ، و أسألُ اللهَ تعالى أنْ يجـعلَ جميعَ أعمالِنا خالصـةً لوجهِهِ الكَـريمِ ، إنَّـهُ وليُّ ذلـكَ والقـادرُ عليهِ ، وصلَّى اللهُ علَى نبيِّنا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّمَ ، والحمْدُ لله رَبِّ العالمينَ .

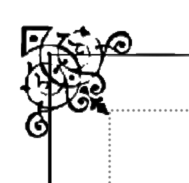
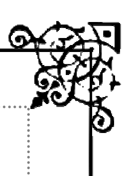
قَـيَّدهُ بِقَلَمِهِ

أبو إبراهيم

رِضوانُ بنُ محمَّد آل إسماعيل

عجمان ـ الإمارات العربية المتحدة

* رابطُ موقعِ الشَّيخِ محمَّد سعيد رَسلان حفِظَهُ اللهُ تعالى : www.rslan.com

التفسير السياسي للإسلام

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ، ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا ، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إلٰـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ . أمَّا بعدُ .

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هَدْيُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكُلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّارِ . أمَّا بعدُ [1] .

فقد قالَ الشَّاعرُ القديمُ : (منَ الكامِل)

سَارَتْ مُشَـرِّقَـةً وَسِرْتُ مُغَـرِّبًا   شَـتَّانَ بَينَ مُـشَـرِّقٍ وَمُـغَـرِّبِ

والبيتُ يدلُّ على عُمقِ الانفِصالِ بينَ الوسائلِ والغاياتِ وبينَ المقاصدِ والآلاتِ ، وأنَّ الإنسانَ إذا لم يُحرِّرْ قَصْدَهُ ، فإنَّه قد يتنَـكَّبُ سبيلَهُ ، وقد يكونُ عاملًا على ضِدِّ غايـتِهِ ، ومُحصِّلًا لكلِّ ما يؤذيهِ مِن حيثُ يَظنُّ أو يَعتقدُ أنَّه يحصِّلُ ما يُسعِدُه ويُنجِّيـهِ .

---

(١) هذا جزء من خطبة رواها مسلمٌ في صحيحِه (٨٦٧) ، وابنُ ماجهْ في سُننِه (٤٥) ، يُسمِّـيها العلماءُ (خُطبةَ الحاجَةِ) ، ومِن السُّنة ابتداءُ الخُطبة بها ، سواءٌ كانت خُطبةَ جُمـعةٍ أو عيدٍ أو نكاحٍ ، أو درسٍ أو محاضـرةٍ ، انظر : السلسلةَ الصحيحةَ (١/ ٢٨) .

وإذَا تصوَّرنَا أنَّ كافرًا أسْلَمَ ، فـقُـيِّضَ له رافضيٌّ فعَرفَ الإسلامَ مِن خلالِه ، فإنَّنا نَجدُه بعدَ حينٍ قَصيرٍ يَتعبَّـدُ بسَبِّ الصَّحابةِ وتكفيرِهم ، ويَتقرَّبُ إلى الله ـ بزَعمِه ـ بالوُقوعِ والوُلوغِ في عِرضِ الـمُبرَّأةِ الـحَصَانِ الرَّزانِ عائشةَ رضيَ اللهُ تباركَ وتعالى عنها ، ولا يَعرِفُ الإسلامَ سِوى ما عَرفَ ؛ وذلك لأنَّ النُّقطةَ الأسَاسَ ولأنَّ نُقطةَ الانطلاقِ لم تكنْ مُوفَّقةً . وكذلك كلُّ مُتعبِّدٍ لله تباركَ وتعالى إذا كانَ مُتعبِّدًا بجَهْلٍ ، فإنَّه يُؤذِي نفسَه ولا يزدادُ بالاجتهادِ في بِدعتِه عن الله إلّا بُعدًا .

وعليهِ فلابُدَّ مِن تحريرِ الغايةِ ، ولابُدَّ مِن تحريرِ الوسيلةِ إلى تلكَ الغَايةِ ، ولابُدَّ مِن ضَبْطِ النِّسبَةِ بينَ الوَسيلةِ والغايةِ ؛ لأنَّ الذي شَرَع الغايةَ هو الذي شَرَع الوسيلةَ ، واللهُ تباركَ وتعالى لم يَجعلْ شِفاءَ أُمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وسلَّمَ فيما حَرَّم عليهَا [1] .

فإذَا أرادَ الإنسانُ النَّجاةَ فإنَّه ينبغِي عليهِ أنْ يجتهدَ في معرفةِ الدِّينِ الذي جاءَ به محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّ المجتمعَ لا يَدفعُ في الحقيقةِ إلَى الالتزامِ الحقِّ بِدِينِ الرَّبِّ تباركَ وتعالى كما جاءَ بهِ الرَّسولُ الكريمُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلهِ وسلَّمَ ، وإنَّما هي اجتهاداتٌ هاهُنا وهُنالكَ ، مِن أُناسٍ بَعُدُوا عَن دِينِ الله تباركَ وتعالى مَرحلةً مِن أعمارِهم ، ثمَّ جاءَ اللهُ تباركَ وتعالى بالهِدايةِ إلى قُلوبِهم فأرادوا أنْ يَعرِفوا دِينَ الله تباركَ وتعالى ، فأحيانًا يُقَيَّضُ للواحدِ مِنهم إخوانيٌّ ، فلا يَعرفُ الدِّينَ إلا عَن طريقِه ، ويَلتزمُ بما يُملِيه عليهِ ، بِحيثُ إنَّه يَعُدُّ كلَّ ما وراءَ ما يَعرفُه عَن طريقِه مِن الخطأِ المحضِ .

---

(١) وَرد ذلكَ في حديثِ أمِّ سَلَمة رضي الله عنها قالت : اشتكَت ابنةٌ لي فـنَبَذْتُ لها في كُوزٍ ، فدَخل النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم وهو يَغلي ، فقال : (ما هذا ؟) فقالت : إنَّ ابنتي اشتكَت ، فنَبذْنا لها هذا . فقالَ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم : (إنَّ اللهَ لم يَجعلْ شِفَاءَكُم في حَرامٍ) . أخرجه ابنُ حِبَّانَ في صحيحِه (١٣٩١) .

وذكرهُ البخاريُّ وغيره عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه موقوفًا .

وقدْ يُقيَّضُ له قُطبيٌّ ، وقدْ يُقيَّضُ له قَبرِيٌّ ، وقدْ يُقيَّضُ له رافِضِيٌّ ، إلى غيرِ ذلكَ مِن أصحابِ النِّحلِ الفاسدةِ ، والمِلَلِ المعوَجَّةِ عَن الصِّراطِ المستقيمِ .

** حركةُ الجماعةِ الإسلاميَّة و ما خلَّفتْه من آثار **

وقديمًا وفي مُنتَصفِ السبعِينيَّاتِ تشكَّلتْ الجماعةُ الإسلاميَّةُ (1) تُكفِّـرُ النَّاسَ وتَستحِلُّ الدِّماءَ ، وتَخرجُ على وُلاةِ الأمرِ ، وتَصنعُ ما هو مَعلومٌ لكُـلِّ مَن كانَ مُعاصرًا ، ولـمَن أتى بَعدُ ، وكانُوا شبابًا جُـهَّالًا ، لا يَعرفُونَ في العِلمِ الشَّرعيِّ كثيرًا ولا قليلًا ، وإنَّما هي عاطفةٌ مشؤومةٌ ، تربَّوا على فِكرِ الخوارجِ ، يُثيرونَ العَواطِفَ ، ويُلهِبونَ الحماسةَ ، فتَشكَّلتْ تلكَ التَّشكيلاتُ ، ولَحِـقَ بها مَن لحقَ بها مِن تَنظيمِ الجِهادِ ، مع ما كانَ قَبلُ ممَّا عُرِفَ إعلاميًّا بالتَّكفيرِ والهِجرةِ ، إلى غيرِ ذلكَ مِن تلكَ الفِـرَقِ الخارِجيَّةِ ، كُلُّهم يُـكفِّرونَ

---

(1) نَشأت الجماعةُ الإسلاميةُ في الجامعاتِ المصريةِ في أوائلِ السبعينياتِ من القرنِ الماضي على شكلِ جمعياتٍ دينيةٍ لتقومَ ببعضِ الأنشطةِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ في مُحيطِ الطلَّابِ ، ونَمت هذه الجماعةُ داخل الكلِّـيَّات الجامعيةِ ، واتَّسعتْ قاعدتُها ، فاجتمعَ بعضُ القائمينَ على هذا النَّشاطِ ، واتَّخذوا لأنفسهم اسمَ : (الجماعة الإسلاميَّـة) ووضعوا لها بناءً تنظيميًّا يبدأُ من داخلِ كلِّ كليةٍ بمجلسٍ للشُّورى على رأسِه (أميرٌ) وينتهي بمجلسِ شُورَى الجامعاتِ ، وعلى رأسِه (الأميرُ العامُ) أو (أميرُ أُمراءِ الجماعةِ الإسلاميةِ) .

كانَ تأسيسُ هذه الجماعةِ على يدِ زعيمِها الدكتور ناجح إبراهيم ، ومِن أبرز أعضائِها : أميرُ الجماعة عمر عبد الرحمن ، وعُضو مجلسِ شُورى الجماعة كَرم زُهدي ، ومحمد الحكايمة ، وخالد الإسلامبولي ، وعبود الزمر .

وهي تدعو إلى الجهادِ لإقامة الدولةِ الإسلاميةِ كما تراهَا ، وإعادةِ الإسلامِ إلى المسلمينَ ـ كما يقولون ـ ثمَّ الانطلاقِ لإعادة الخِلافة الإسلاميةِ من جديدٍ ، عن طريقِ القتالِ ضدَّ رموز السُّلطة وقُـوَّات الأمنِ .

وكان للجماعة العديدُ من المواقفِ السياسيةِ ، مِن أبرزِها : موقِـفُها من مُعاهدةِ (كامْب دِيفيد) ومن زيارةِ الشَّاهِ ، وبعضِ وُزراءِ إسرائيلَ لمصرَ ، فأقامت في كلِّ ذلك المؤتمراتِ والمسيراتِ ووزَّعت المنشوراتِ خارجَ أسوارِ الجامعةِ للتَّنديدِ بذلك ، والمطالبةِ بتطبيقِ الشَّريعةِ الإسلاميةِ مما أدَّى إلى تدخُّلِ الحكومةِ آنذاكَ في سياساتِ الاتِّحاداتِ الطلَّابيةِ ، فأصدَرَتْ لائحةً لاتِّحاداتِ الطلَّاب تُعرَفُ بلائحةِ ١٩٧٩ التي قَـيَّدت الحركةَ الطلابيَّـةَ ، وازدادَ الضَّغطُ الإعلاميُّ والأمنيُّ على قِـياداتِ الجماعةِ . =

الناسَ ، ويَستَحلُّونَ الدِّماءَ ، ويَستَحِلُّونَ الثَّرواتِ والأموالَ ، والخروجَ على الحكَّامِ ، وإشاعةَ الفَوضى في البلادِ ، إلى غيرِ ذلكَ مما هُو معلومٌ مِن قواعدِ الخوارجِ .

ثمَّ مرَّت الأيَّامُ بعدما أحْدَثتْ الجماعةُ الإسلاميَّةُ ما أحْدَثتْ مِن الخَرابِ في الأرضِ ، ومِن الفَسادِ في البِلادِ والعِبادِ ، وممَّا أدَّى الصِّدامُ معَها ومعَ غيرِها مِن تلكَ الفِرَقِ الخارجيَّةِ إلى تـجْفِيفِ مَنابعِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ ، وجعْلِ القوَى الإعلاميَّةِ مُنصبَّـةً بجميعِ قواهَا وقُدُراتِها لحربِ دِينِ الله تباركَ وتعالَى ، وما وَقَع مِن تَتبُّعِ كُلِّ ظاهرةٍ إسلاميَّةٍ مما أدَّى إلى جعْلِ الأمْنِ أمْنًا سِيَاسِيًّا ، فلمْ يُلتفَتْ إلى ما هنالك مِن الأخلاقِ ، ومما يتعلَّقُ برِعاية الأمواتِ ؛ فعمَّ الفسادُ ، وظهرَت الرِّشوةُ في جميع الأصقاعِ ، وانتشرت الرَّذيلةُ ، وكلُّ ذلك بسببِ هؤلاء الذين أحْدَثُوا ذلك الصِّدامَ ، وتكسَّرت قرونُهم وهم يخبطونَ في تلك الصَّخرةِ ، ثم شوَّهوا صورةَ الإسلامِ في الداخلِ والخارجِ ، وكلُّ ذلك بسببِ أنَّهم لم يُحسنوا البَـدءَ ولم يَعرِفوا نُـقطةَ الانطلاقَ ، ولم يسيروا خلفَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم .

ومرَّت الأيـَّامُ وكرَّت الأعوامُ ، ثم أَخَذوا بما عُرِفَ بعدُ بِالـمُراجَعَات ، وقالُوا : (كُـنَّا مُـخطئين ، آسفون ، كنا مخطئين) !! والدَّماءُ التي أُريقَت ، والأَنفُس التي أُزهِقَت ، والأموالُ التي نُـهِبَت ، والذين أُخِذوا بغَيرِ جريمةٍ ولا ذنبٍ ، والدِّينُ الذي ضُيِّـقَ عليه ؟!

(آسفونَ ، كُـنَّا مخطئين) فلماذَا تكلَّمتُم في الدِّين ؟! وأنتُم جُهلاءُ أغرارُ ، ليسَ لكم أن تُـنَـظِّروا ولا أنْ تُـؤَصِّلُـوا ، ولا أنْ تَـتَعامَلوا مع النَّوازِل التي تَـنزِلُ بالأُمة ، وكلُّ ذلك لا يستطيعُه إلَّا الذينَ يَـستَـنبِطُونَه من الكتابِ ومما جاءَ به النبيُّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم .

= كما قامتْ الجماعةُ باسمِ الإسلامِ بكثيرٍ من عمليَّاتِ الإغتيالِ ومُهاجمةِ المراكزِ الأمنيَّـةِ ، وغيرِ ذلك من الأعمال التخريبيَّـةِ التي كان وَبالُها على رأسِ الجماعةِ أوَّلًا ، مع ما كان لها من تأثيرٍ على المجتمعِ مما ذَكره الشَّيخُ حفظه اللهُ تعالى .

فعلى كلِّ مسلمٍ من شيخٍ وشابٍّ أنْ يُحـرِّرَ قصدَه ، وأنْ يلتفتَ إلى الوسيلةِ التي يَـتوسَّل بها للوُصول إلى غايتِه ؛ لأنَّ هنالك خطأً شائعًا هو أشنعُ وأخطرُ وأفظعُ خطأٍ أُصِيبَت به مسيرةُ الإسلامِ في العُصور الحاضِرة ، وهذا الخطأُ الشَّنيعُ قالَه رجلٌ أعجميٌّ ، هو لا يَـفهَمُ القُرآن فهمًـا حقيقِـيًّا ، وإنَّما كانَ يجتهدُ في ذلك وكانَ يُـفَسِّره بلُغتِه .

يُـفسِّر معاني القُرآن العظيم ؟! لا بأسَ إذا كانَ عارفًا بأدواتِ التفسيرِ مُمتلِكًا لها [1] ، ولكـنَّه ابتدَعَ بِدعةً عظيمةً ، ووقعَ في خطأٍ شنيعٍ ، وتلقَّـفهُ رجلٌ هنا في مصرَ ، ضلَّ بضلالِه ، ومضَى معه على بِدعَتِه ، ووقعَ أكبرُ وأشنعُ خطأٍ في مسيرةِ الإسلامِ في العصرِ الحاضرِ ، **وهو تفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سِيَـاسِيًا** .

ابتدعَه المودُودِيُّ ، وتلـقَّـفـه سيِّد قُطب [2] ، ومُـدَّ الخـطُّ على استقامتِه ، و شُوِّهَت صورةُ الإسـلام ،

---

(١) الأصلُ في تفسيرِ كلامِ الله تعالى أنْ يكونَ بالمأثورِ مِن الكتابِ والسنَّـةِ وأقوالِ الصحابةِ والتابعينَ ، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله تعالى في كتابِهِ (مقدِّمةٌ في أصولِ التفسيرِ : ص : ٩٣) :

إنَّ أصحَّ الطُّرقِ فى ذلكَ : أنْ يُـفَسَّر القرآنُ بالقرآنِ ، فما أُجمِلَ في مكانٍ فإنه قد فُـسِّر في موضعٍ آخرَ وما اختُـصِر فـي مكانٍ فقد بُسِطَ في موضعٍ آخرَ ، فإنْ أعياكَ ذلك فعليكَ بالسُّنَّـةِ فإنَّها شارِحةٌ للقرآنِ ومُـوَضِّحةٌ له .

وقالَ (ص : ٩٥) : إذا لـم نَجِد التفسيرَ في القرآنِ ولا في السنَّةِ رَجعنَا فى ذلك إلى أقوالِ الصحابةِ فإنَّهم أدرَى بذلك ؛ لما شاهدُوهُ مِن القرآنِ والأحوالِ التى اختصُّوا بها ، ولما لهم من الفَهْمِ التَّامِّ والعِلم الصحيحِ والعمل الصَّالِح ، لا سيَّما عُلماؤُهم وكُبراؤهم كالأئمةِ الأربعةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ ، والأئمةِ المهديِّينَ .

وقالَ (ص : ١٠٢) : إذا لم تَجِد التفسيرَ في القرآنِ ولا في السنَّةِ ، ولا وَجدتَه عن الصحابةِ ، فقد رَجعَ كثيرٌ من الأئمةِ فى ذلك إلى أقوالِ التابعينَ ا.هـ

فإنْ لم يَجِد العالِـمُ شيئًا مِن ذلك فإنَّ له أنْ يَجتهِدَ في تفسيرِ الآياتِ على ضوءِ الكتابِ والسنَّـةِ ، معَ كونِه عالما باللُّغةِ العربيةِ خَبيرًا بأساليبِها ، عالِـمًا بقواعدِ الشريعةِ وأُصولها ، يدلُّ على ذلك ما جاءَ في كتابِ الله تعالى مِن الأمرِ بتَدبُّر القُرآنِ .

(٢) وقد تأثَّـرَ سيِّد قُطب بفِكرِ المودوديِّ تأثُّـرًا بالغًا كما سيبيِّـنُه الشيخُ حفظه الله تعالى ، ومِن أوجُهِ التَّشابُهِ بينَ الرَّجُلَينِ غيرَ ما ذَكرهُ الشَّيخُ =

وفُسِّر القرآنُ العظيم بتفسيرِ الجهَّالِ ، فقدْ كانا جاهلَين بتفسيرِ القُرآنِ العظيم ، وليسَ لهما من الأدواتِ ولا من العِلمِ ولا من القُدرةِ العلميَّةِ ما يُـؤَهِّلُهما لتفسيرِ كتابِ الله تباركَ وتعالَى .

وأدَّى ذلكَ الخطأُ الشَّنيعُ إلى بُعدِ جميعِ مَن جاءَ مِن الأجيالِ المسلمةِ مِن الشَّبيبَـةِ المسلمةِ التي تطلَّعت إلى إقامةِ دِين الله تباركَ تعالَى ، وإلى الالتزامِ بالنَّهجِ الذي جاءَ به الرَّسولُ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، أدَّى إلى بُعدِها عن تُراثِها ، وأَقبلَتْ على تلك الكُتبِ الفِكريَّـةِ ، وأَخذتْ تَنهلُ من ذلك المعينِ النَّجِس ، ومن تلك الـحَمئةِ القَذرةِ ، حتَّى وَصلَ الناسُ إلى ما وصلوا إليهِ ، ولا يَخرجُون من ذلك حتَّى يَفهَمُوا ؛ لأنه لابدَّ من المراجعةِ للنَّـفْس ، ولابدَّ أنْ يَنظُر الإنسانُ فيما هو عليهِ ، ولابدَّ أنْ نعلَمَ ماذا نَـقِيسُ قبلَ أنْ نُـناقِشَ كمْ نَـقيسُ ؟! لابدَّ أنْ نعلَمَ ماهيَّـةَ ما نتعامَلُ معه قبلَ أن نُـوَصِّفه ، وقبلَ أنْ نعلَم كمْ نأخُذُ منه وكمْ نَـدَعُ .

فلابدَّ من معرفةِ الإسلامِ الذي جاء به الرَّسولُ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، وإلا فإنَّ الخطَّ مُـمْتَـدٌّ على استقامَـتِه ، ولابدَّ أنْ يَصلوا إلى ما وَصَلَتْ إليهِ الأمَّة مِن ذلك الصِّدامِ الذي ضاعَتْ فيه كلُّ مكاسِبِ الإسلامِ إلَّا قليلًا .

= حفِظهُ اللهُ تعالَى : انْـتِـقاصُهما لأنبياءِ الله سبحانه وتعالى :

* قالَ المودوديُّ في كتابه (تَفهيمات : ص : ١٢) مُستنبِطًا مِن قَولِ الله تعالى إخبارًا عن يوسفَ عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ : إنَّ هذه لـم تكنْ مُطالبةً لمنصبِ وزيرِ الماليَّةِ فقط ، بل إنَّها كانت مُطالبةً للدِّكتاتوريَّة !! ونتيجةً لذلكَ كانَ وضعُ سيِّدنا يوسفَ عليه السَّلامُ يُشبِه جدًّا وضعَ مُوسِليني في إيطاليا الآنَ ا.هـ !! نسألُ الله تعالى العَفو والعافيةَ .

* وقالَ سيِّد قُطب : في كتابِه (التَّصويرُ الفنِّيُّ في القرآنِ : ص : ٢٠٠) : لنأخُذ مُوسى ، إنَّه مثالٌ للزَّعيم المندَفعِ العصبيِّ المزاجِ ا.هـ وقالَ قبلَ ذلك (ص : ١٦٣) بعدَ عشرِ سنواتٍ من هَربه مِن مصرَ بقيَ كما هو ، لم يهدأْ ولم يصِرْ رجلًا هادئَ الطَّبعِ حليمَ النَّـفْسِ ، فحين رأَى الحيَّـةَ وَثَب جاريًا لا يُعقِّب ولا يَلوِي ، إنَّه الفتى العصبيُّ نفسُه ولو أنَّه قد صارَ رجلًا ا.هـ

نسألُ الله السَّلامةَ والعافيةَ .

ثمَّ ما يزالُ الناسُ يتخبَّطونَ ! ودينُ الله تبارك وتعالى واضحٌ ، والحجَّةُ فيه قائمةٌ ، وتلك المصطلحاتُ التي صُكَّتْ بعدُ صَكًّا حتى صارتْ مما يَنعَقُ به كلُّ ناعقٍ في جميعِ الأرجاءِ ، هيَ من الـمُحدَثاتِ والبِدَعِ التي لـم يعرفْها الرَّسولُ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، وإنَّما رَفعَ شِعارَها يومًا مَا الخوارجُ الذين خَرجوا على الأصحابِ رِضوانُ الله عليهِم ، ولم يَكُن فيهم واحدٌ من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، وكفَّروا الأصحابَ ، وكفَّروا الناسَ ، بلْ كفَّروا العالَمَ ، وخَرجُوا على الأُمةِ بأَسيافِهم ، فتَركوا أهلَ الكُفرِ ، وأَغمَدُوا سُيوفَهم في قُلوبِ المسلمينَ الـخُلَّصِ ، و وَقَع بسببِهم فسادٌ عظيمٌ .

كلُّ ذلك بسببِ أنَّ الإنسانَ لا يُحكِمُ البِداية ، ويَنظُرُ في تلكَ المصطلحاتِ الحادثةِ المبتَدَعةِ ، ولا يتأمَّلُ رَوافِدَها ، ولا يَعلَم أين مَصدرُها .

و**مصدرُ الحاكميَّةِ** : هو قولُ الخوارجِ الأُوَل : (لا حَكَمَ إلا اللهُ) لـمَّا سمعَها الإمامُ عليٌّ رضي الله تبارك وتعالى عنه قالَ : (كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ) نعم ، لا حَكَم إلا اللهُ ، ولكنْ أَرِيدَ بهذا الحقِّ باطلٌ ، وأدَّى إلى إشاعةِ الفَوضى والفسادِ .

هُنالِكَ أمورٌ قد تبدُو في حيِّزِ النَّفلِ أو ما دُونَه عندَ كثيرٍ من النَّاسِ ، فكثيرٌ من الناسِ يحسَبُ رمضانَ ـ مثلًا ـ بمَجالِسه لمعرفةِ بعضِ الرَّقائقِ ، ولمعرفةِ أمورٍ هو يعلَمُها سَلفًا ، ولاستدرارِ بعضِ ماءِ العُيونِ تجري به الشؤوب ثمَّ يَذهَبُ ، حتَّى إذا ما ذَهب فإنَّه يَنسى ما قد سَمعَ من غيرِ أنْ يتحوَّلَ عنده فِكرٌ ، ومن غيرِ أنْ يُفيدَ علمًا ينفعُه الله تبارك وتعالى بهِ .

** عود على بدء **

نُقطة الانطلاقِ هي أهمُّ شيءٍ ؛ لأنَّنا إنَّما عرفنا الدِّين بدءًا عن طريقِ العجائزِ ، وعن طريقِ أقوامٍ لـم يتخصَّصُوا في العِلم الشَّرعيِّ على النَّحوِ الـمَرْضيِّ ، فعقائدُ أكثرِهم مُنحرِفَة ، مِن الأشعريَّة والاعتزالِ

وما أَشْبَه ، أكثرهُم بل جُلُّهم بل كُلُّهم ، فلمْ نرَ منهم أحدًا كانَ على مِنهاجِ النُّبوَّة ، فهؤلاء هم الذين علَّموا العقيدةَ .

وكثيرٌ من المُثَقَّفين المسلمين يتوقَّفونَ عند حُدودِ ما عَلِمُوا في الصِّغَر مما تلقَّفوا عن العجائزِ ، عن الآباءِ وعن الأجدادِ ، وعن العامَّةِ ، ومن الفُلُكْلُورِ الشَّعبيِّ الغالب (١) مما تأتي به المناسباتُ الدينيَّةِ ، والمسلسلاتُ التي كانت تُذاع في رمضانَ وغيرِ رمضانَ ! هذه حصيلةُ الدِّين عند هؤلاء ! أمَّا أنَّهم يعرفونَ دينَ الله كما جاءَ به رسولُه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم فذلك شيءٌ بعيدٌ .

** العلم الواجب معرفته على كل مسلم **

ولا أعنِي بأنَّهم يعرفونَ دِينَ الله كما جاءَ به رسولُ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنَّهم يكونونَ علماءَ ، حاشَا وكلَّا ، وإنَّما يَعرفونَ الأصولَ التي هي أصولُ دين الإسلامِ العظيم ، يَعرفونَ ما لا يكونُ المسلمُ مُسلمًا إلَّا به ، يَعرفون التَّوحيدَ في جُملتِه ، ويتبرَّؤونَ مِن الشِّركِ في جُملتِه وفي تَفاصيلِه ، ويَعرفونَ ما ينبغي أنْ يَعرفوه مِن أمور العبادةِ عِلمًا مُحكَمًا غير مفصَّلٍ ، ولكنه مُنضبطٌ في النهايةِ على حُدود الكتابِ والسُّنة .

أين هؤلاءِ الذين يَعلمون ذلك ؟! أكثرُهم إنَّما يَعلمون خُرافاتٍ ، وتَستقِرُّ في قلوبهم وفي مَخِيلاتهم تُرَّهاتٍ ، ولا يَعلمون حُدودَ ما أنزل اللهُ على رسولِه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم .

---

(١) الفُلْكلورُ الشَّعبيُّ : مُصطلَحٌ مأخوذٌ من المصطلحِ الإنكليزيِّ (folklo) وهذا المصطلحُ ابتَدَعه الباحثُ الإنجليزيُّ (وِلْيَم جُون تُومز) عامَ ١٨٤٦م ليدلِّل على دراسةِ العاداتِ المأثورةِ و الآثارِ الشَّعبيَّةِ القديمةِ و المعتقداتِ ، و التي تَشمَلُ كلَّ ما تعلَّمته الشُّعوبُ و ما اكتسبتهُ مِن خِبراتٍ ذاتيَّةٍ تَوارثَها الأجيالُ ، وقد تعدَّدَت التَّعريفاتُ والتَّفسيراتُ لهذه الكلمةِ حتَّى خَرجت عن المعنَى أو المرادِفِ الصَّحيحِ لها ، حتَّى وَضع المجمع العربيُّ للُّغة مُصطلَح (المأثورات الشعبيَّة) ترجمةً لهذه الكلمةِ التي تعنِي باختصارٍ حكمةَ ومَعارِف الشَّعْب .

إنَّ الخطأَ الأكبرَ الذي وقعَ في مسيرةِ الإسلامِ الحاضرِ هو هذا التفسيرُ الذي ابتَدعه ذلك الرَّجلُ المودودِيُّ ، والذي تلقَّفه منه المصريُّ سيِّد قُطب ، ثمَّ أشاعَه وأذاعَه ودَنْدَنَ حولَه ، ولم يكُن مما ابتدعَه أوَّلًا ، وإنَّما سار فيه على نَهجِ سَلَفِه ، فتأثَّر به وسارَ خَلفه مُتأثِّرًا بخُطاه ، ثم إنَّه نَفخَ في تلك الكلمةِ ، وأخذَ يَستجلِبُ لها الشَّواهدَ والأدلَّةَ ، يُخضِعُها لفِكرَتِه إخضاعًا ، ويَحمِلها على أن تَتحَمَّل المرادَ الذي تصوَّرَه حَملًا ، والنُّصوصُ نافرةٌ من هذا كلِّه ، ولم يكن مُتلِكًا لأدواتِ العِلمِ الشرعيِّ الصحيحِ ، ولا مُحْكِمًا لأصول العقيدةِ ، بلْ كان جاهلًا بأصولِها وفروعِها ، وإنَّما يَعلمُ طرفًا من هاهُنا وهُناك ، وخَلْطُه في معرفةِ العقيدةِ خَلْطٌ قبيحٌ ، يَسخرُ منه ويضحكُ له أقلُّ طُلاب العِلمِ ممن يتعلَّمون العِلمَ على مِنهاجِ النُّبوَّة ، ولو كانوا مِن الأعاجمِ الذين لا يُحسِنُون العربيَّةَ ، فَضلًا عن أنْ يُحكِمُوها نُطقًا وأداءًا .

ولكنْ ..

هو شأنُ الخوارجِ في كلِّ جيلٍ ، شأنُهم في كلِّ عصرٍ ، يستخِفُّونَ النَّاس ، ويستَثِيرُون العَواطِفَ ، ويُلهبونَ الحَماسات ، ثمَّ هو القَطِيعُ ، وفَلسفةُ القطيعِ معلومةٌ ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا انْسَلَك في منظومةِ القطيعِ السَّائرِ في اتِّجاهٍ ، فإنَّه لا يُمكِنُ أنْ يُعطَى فرصةً ليتوقَّف لحظةً لكي يُراجِعَ نفسَه من أجلِ أنْ يعلَم أين هو ، وإلى أين يسيرُ ؟ لأنه إنْ توقَّف ولو للحظةٍ واحدةٍ وَطِأَتهُ الأقدامُ حتى تسحقَه ، فليس عنده فرصةٌ وقد دخلَ في القطيعِ أن يتوقَّف ليُراجعَ نفسَه ، ولينظرَ ماذا جاء مِن عندِ الله تبارك وتعالى على لسانِ رسولِه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم من الوَحيِ المعصومِ ، من أجل أن يَتلمَّس الطريقَ الصحيحَ من أجل معرفةِ دينِ الله ؛ لكي يكونَ مُسلمًا كما أرادَ اللهُ تبارك وتعالى .

وتأمَّل في هذا الكلامِ !!

فأخطر انحرافٍ وقعَ هو تفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سياسيًّا ، وتأويلُ رسالةِ القُرآنِ وتعاليمِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وتاريخِ الإسلامِ في ضوءِ هذا التَّفسيرِ ، تمامًا كما يُفسَّرُ الإسلامُ ويُفسَّر القرآنُ تفسيرًا شيوعيًّا ، وقديمًا كتبَ بعضُ المخدوعين لـمَّا جاءت موجةُ الاشتراكيَّةِ ، وحسِبَها النـاسُ مِن صُلبِ الدِّين ، فأكثرُهم كتبَ يقولُ : (**اشتراكيَّةُ الإسلام**) ! وبعضُهم قالَ : إنَّ أوَّلَ اشتراكيٍّ في التاريخِ هو رسولُ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ! وإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم سَبقَ في الاشتراكيَّةِ مَارْكِس و إنجلز ! (١) وهذا أمرٌ عجيبٌ ! لأنَّ الذي يقولُ هذا إمَّا جاهلٌ لا يَعرفُ ولا يَدري ما يَخرُج مِن رأسِه ، ولو كانَ كذلك لَرَحِمنَاهُ ، وإمَّا أن يكونَ كافرًا بالله تبارك وتعالى مُهينًا لرسولِ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ؛ إذا كان يَعرفُ ما يَخرُج من رأسِه .

فتفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سياسيًّا لأنك تستطيعُ ـ أعاذَكَ اللهُ تبارك وتعالى مِن ذلكَ ـ أنْ تضعَ فكرةً ، ثـمَّ تُرشِّحَ القُرآنَ كلَّه مِن خلالِ تلكَ الفِكرَةِ ، وأنْ تَلْوِيَ أعناقَ النصوص لكي تَنْساقَ وتَنْقادَ لحدودِ تلكَ الفِكرَة التي قدْ وضعْتَها قبلُ .

هذا كثيرٌ جدًّا في مناهجِ المفسِّرينَ المنحَرِفِينَ ، فكثيرٌ مِن المفسِّرينَ يُفَسِّرُ القُرآنَ تفسيرًا إشاريًّا (٢) ،

---

(١) كارْل مَاركس و فِريدريك إنجلز الـمُنَظِّرانِ الأساسيَّانِ للفِكر الشيوعيِّ ، ألمانيَّانِ مِن أصلٍ يهوديٍّ ، وُلِدَ ماركس سنة ١٨١٨ بألمانيَا ، دَرس القانونَ ، ثمَّ اهتمَّ بالفلسفةِ حتَّى حصلَ على الدُّكتورَاة في الفلسفةِ سنة ١٨٤٠ ، وانتقلَ إلى فرنسَا ، وفي باريس سنة ١٨٤٤ التَقَى بفريدريك إنجلز وكانَ أصغرَ منه بعامَين ، وبعدَ عِدَّة جلساتٍ خرجَ الاثنانِ بنتيجةٍ أنَّ أفكارهما مُتطابقةٌ فيما يخصُّ الثَّورةَ على النظامِ الرأسماليِّ ، فقاما معًا بنشرِ أفكارهما في الدَّعوة إلى الشيوعيَّةِ ، حتَّى أسَّس الشُّيوعيُّونَ سنة ١٨٤٧ عُصبةَ الشيوعيِّينَ ، وفُوِّضَ إليهما وضعُ مبادئِ العُصبَةِ ، بعدَ ذلك عُرِفت الشيوعيةُ في العالمِ بالمذهَبِ الماركسيِّ ، الذي كان يدعُو في حقيقتِه إلى نَبذِ الأديانِ ، والإيمانِ بالمادَّة .

(٢) يَقصدُ الشيخُ حفظه اللهُ تعالى بالتَّفسيرِ الإشاريِّ التفسيرَ الذي عُرِفَ به الصُّوفيةُ ، وهو زَعمُهم أنَّ للآياتِ ظاهرًا وباطنًا ، ولِلعلماءِ =

أو تفسيرًا باطِنيًّا ، ويُخضِعَ القُرآنَ بآياتِه العُظمَى لهذا الذي اعتقَدَه بَدءًا ، وهو أنَّ القُرآنَ فيه باطنٌ وظاهرٌ ثمَّ يُفسِّر القُرآنَ تفسيرًا باطنيًّا ، ويُؤوِّلُه على حَسَبِ هَواه .

= كلامٌ طويلٌ في هذا المنهجِ في التَّفسيرِ ، يُمكِنُ إجمالُه في النُّقاطِ الآتيةِ :

* تعريفُ التفسيرِ الإشاريِّ :

فالتفسيرُ الإشاريُّ : هو تأويلُ آياتِ القُرآنِ الكريمِ بغيرِ ظاهرِها بمُقتضَى إشاراتٍ خفيَّةٍ .

* التفسيرُ الإشاريُّ عَلَمٌ على التفاسيرِ الصُّوفيَّةِ للقُرآنِ الكريمِ :

عُرِفَ التفسيرُ الصُّوفيُّ بالتفسيرِ الإشاريِّ ، ويتمثَّلُ على زعمِهم في أنْ يَرى المفسِّرُ معنَى آخرَ غيرَ المعنَى الظَّاهرِ ، رُبَّما تحتملُه الآيةُ الكريمةُ ولكنَّه لا يَظهرُ لِلعامَّةِ من الناسِ ، وإنَّما يَظهرُ لخاصَّتهم ومَن فَتَح اللهُ قلبَهُ وأنارَ بصيرتَه وسلَكه ضِمنَ عبادِه الصَّالحينَ ، الذين مَنحَهم الله الفَهمَ والإدراكَ ، وهذا النَّوعُ مِن العِلمِ ليسَ مِن العلمِ الكسبيِّ الذي يُنالُ بالبَحثِ والـمُذاكَرةِ وإنَّما هُو مِن العلمِ الوهبيِّ الذي هُو أثرُ التُّقَى والاستقامةِ والصَّلاحُ ، كما قالَ تعالَى في سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ .

والتفسيرُ الصوفيُّ يعتَمدُ أساسًا على أنَّ للقُرآنِ ظاهرًا وباطنًا ، ويُقصَدُ بالظَّاهرِ : الشَّريعةُ ، وبالباطِنِ : الحقيقةُ ، وعِلمُ الشَّريعةِ : عِلمُ المجاهَدةِ ، وعِلمُ الحقيقةِ : عِلمُ الهِدايةِ ، وعِلمُ الشَّريعةِ : عِلمُ الآدابِ ، وعِلمُ الحقيقةِ : عِلمُ الأحوالِ ، وعِلمُ الشَّريعةِ يَعلمُه علماءُ الشريعةِ وعِلمُ الحقيقةِ يَعلمُه العلماءُ بالله !! انظر : (المعجمُ الصُّوفيُّ) لمحمود عبد الرَّازِق (١/ ١١٦- ١١٩) .

* أهمُّ التفاسيرِ الإشاريَّةِ عندَ الصُّوفيَّةِ :

١ـ تفسيرُ سَهل بنِ عبدِ الله التَّسترِي ، وهو أوَّلُ تفسيرٍ صوفيٍّ ظُهورًا .

٢ـ تفسيرُ السُّلميِّ المسمَّى : حقائقُ التفسيرِ .

٣ـ تفسيرُ عبدِ الكريمِ القُشَيريِّ المسمَّى : لطائفُ الإشاراتِ .

٤ـ تفسيرُ الكاشانيِّ السَّمرقَنْديِّ ، وقد نُسبَ هذا التَّفسيرُ إلى إمامِهم الأكبَر ابنِ عرَبيّ .

* التفسيرُ الإشاريُّ منهُ ما هو مقبولٌ ، ومنهُ ما هو مَردودٌ :

ليسَ كلُّ ما نُسِب إلى التفسيرِ الإشاريِّ فإنَّه باطلٌ محضٌ ، بل الإشاراتُ والاعتباراتُ مِثلُ القِياسِ في الفقهِ ، منهُ ما هو صحيحٌ ، ومنهُ ما هو باطِلٌ ، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ تعالَى في (مجموعِ الفَتاوَى ٦/ ٣٧٧) : فإنَّ إشاراتِ المشايخِ الصُّوفيَّةِ ، التي يُشيرونَ بها تنقَسِمُ إلى إشارةٍ حاليَّةٍ : وهي إشارتُهم بالقُلوبِ ، وذلك هو الذي امتازوا به ، وليسَ هذا موضعَه .

وتنقَسِمُ إلَى الإشاراتِ المتعلِّقةِ بالأقوالِ : مثلَ ما يأخذونَها مِن القُرآنِ ونحوِه ، فتلك الإشاراتُ هي مِن بابِ الاعتبارِ والقياسِ وإلحاقِ =

= ما ليسَ بمَنصوصٍ بالمنصوصِ مثلَ الاعتبارِ والقياسِ الذي يستعملُه الفقهاءُ في الأحكامِ ، لكنْ هذا يُستعمَلُ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ وفضائلِ الأعمالِ ودَرجاتِ الرِّجالِ ونحوِ ذلكَ :

❖ فإنْ كانت الإشارةُ اعتباريَّـةً مِن جِنسِ القِياسِ الصَّحيحِ ؛ كانت حسنةً مقبولةً .

❖ وإنْ كانت كالقِياسِ الضَّعيفِ ؛ كانَ لها حكمُه .

❖ وإنْ كانَ تحريفًا للكلامِ على غيرِ تأويلِه ؛ كانت مِن جِنس كلامِ القرامِطَةِ والباطنيَّةِ والجهميَّةِ ، فتدبَّـرَ هذا ١.هـ

❋ شروطُ قَبولِ التَّفسيرِ الإشاريِّ :

ذكرَ العلماءُ رحمهم اللهُ تعالى عِدَّةَ شُروطٍ لقَبولِ التَّفسيرِ الإشاريِّ ، أجملَها ابنُ القيِّم رحمهُ الله تعالى في كتابِه (التبيان في أقسام القرآن : ص : ٧٤) فقالَ : وتفسيرُ النَّاسِ يَدورُ على ثلاثةِ أُصولٍ :

❖ تفسيرٌ على اللَّفظِ : وهو الذي يَنحُو إليه المتأخِّرونَ . ❖ وتفسيرٌ على المعنَى : وهو الذي يَذكرُه السَّلَفُ .

❖ وتفسيرٌ على الإشارةِ والقياسِ : وهو الذي يَنحُو إليهِ كثيرٌ مِن الصُّوفيَّـةِ وغيرُهم ، وهذا لا بأسَ به بأربعةِ شَرَائـطَ :

١ـ أنْ لا يُناقِضَ معـنَى الآيـةِ . ٢ـ وأنْ يكونَ معنًى صحيحًا في نفسِه .

٣ـ وأنْ يَـكونَ في اللَّفظِ إشعارٌ بهِ . ٤ـ وأنْ يكونَ بينَه وبينَ معنَى الآيةِ ارتباطٌ وتَلازُمٌ .

فإذا اجتمعَت هذه الأمورُ الأربعةُ كانَ استنباطًا حَسنًا ١.هـ

فالتفسيرُ الإشاريُّ لا يُـقبَلُ إلَّا إذا توفَّرت فيه هذه الشروطُ :

١ـ أنْ يَصِحَّ علَى مُقتضَى الظَّاهرِ المقرَّرِ في لسانِ العَربِ ويجري على المقاصِدِ العربيَّةِ ، فإنَّ كلَّ معنًى مُستنبَطٍ غيرُ جارٍ على لسانِ العَربِ فلَيسَ هو مِن التفسيرِ في شيءٍ ، وذلكَ أنَّ القُرآنَ عربيٌّ ؛ ولو كانَ له فهمٌ لا يقتضيه كلامُ العَربِ لـم يُوصَفْ بكونِه عربيًّا بإطلاقٍ ؛ ولأنه مفهومٌ يُلصَقُ بالقرآنِ ليس في ألفاظِه ولا في معانيه ما يَدُلُّ عليه ، وما كانَ كذلك فلا يَصِحُّ أنْ يُنسَب إليه أصلًا ؛ إذْ ليستْ نسبتُه إليه علَى أنَّ مدلولَه أولَى مِن نسبةِ ضدِّه إليه ولا مُرجِّحَ يَدلُّ على أحدِهما ، فإثباتُ أحدِهما تحكُّمٌ وتقوُّلٌ على القرآنِ ظاهرٌ ، وعندَ ذلك يَدخُل قائلُه تحتَ إثمِ مَن قال في كتابِ الله بغيرِ عِلمٍ » .

٢ـ أنْ يكونَ له شاهدٌ نصًّا أو ظاهرًا في محلٍّ آخرَ يَشهدُ لصِحَّته مِن غيرِ مُعارِضٍ ؛ لأنه إنْ لـم يكنْ له شاهدٌ في محلٍّ آخرَ أو كانَ له مُعارِضٌ صارَ مِن جُملةِ الدَّعاوَى التي تُدَّعى على القُرآنِ والدَّعوى المجرَّدةُ غيرُ مَقبولةٍ باتِّفاقِ العُلماءِ .

وهذانِ الشَّرطانِ ذَكرهُما الإمامُ الشَّاطبيُّ رحمهُ الله تعالَى في كتابِهِ الموافَـقَات (٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) .

٣ـ أنْ لا يكونَ تأويلاً سخيفاً بعيداً عن معنَى الآيةِ ، كـتفسيرِ بعضِهم قولَه تعالَى في آخرِ سُورةِ العَنكبوتِ : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ =

حتَّى إنَّ بعضَهم وهو يَسيرُ على خُطا ابنِ عربيٍّ الزِّنديقِ الـحُلُوليِّ الاتِّحاديِّ يقولُ : إنَّ فرعونَ هو سيِّدُ الأولياءِ وكبيرُهم ! وأنه لم يكنْ كافرًا يومًا مِن الدَّهرِ ! إلى غيرِ ذلك مِن تلك الخرافاتِ ؛ لأنه يُؤمِن بالحُلولِ والاتِّحادِ ، وأنَّ اللهَ ـ كما يُؤمِنُ هو ! ـ قد حلَّ في فرعونَ فقالَ : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وقالَ : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ وأنه إنَّما عَرفَ هذه الحقيقةَ ، ولم يَعرِفها سِواهُ ، فقالَ : إنَّـه من النَّاجينَ من النارِ بلْ من الـمُقَـرَّبينَ عند العزيزِ الغفَّارِ !! ويُريدُ أن يُخضِعَ آياتِ القُرآنِ لمثلِ هذا الهراءِ .

= حيثُ جَعلَ كلمةَ ﴿ لَـمَعَ ﴾ فِعلاً ماضياً بمعنى : أضاءَ ، وكلمةَ ﴿ المحسنينَ ﴾ مفعولاً له !!

٤ـ أنْ لا يدَّعي أنَّه المرادُ وحدَه دون الظاهرِ ؛ لكي يتميَّز عن التفسيرِ الباطنيِّ الملحِدِ الذي يَمنعُ إرادةَ المعنَى الظاهرِ ، ويتمسَّكُ بالمعنَى الباطنِ وحدَه . مثلَ : تأويلِهم للحَجِّ بزيارةِ الإمامِ .

راجع هـذين الشرطين في : (مَناهلِ العِرفان للزرقاني : ١ / ٥٤٩) .

* مثالٌ على التفسيرِ الإشاريِّ الصحيح :

من أشهر الأمثلةِ على التفسيرِ الإشاريِّ عندَ السَّلفِ رحمهم الله تعالى : ما وَرد مِن تفسيرِ عُمرَ وابنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهم ـ لسورة النَّصـرِ ، فقد رَوى البُخاريُّ (٤٢٩٤) و (٤٩٧٠) عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ : كان عمرُ يُدخلني مع أشـياخِ بـدرٍ ، فقـالَ بعضُـهم : لِـمَ تُدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناءٌ مثلُه ؟ فقالَ : إنَّه ممَّن قد علمتُم . فدعاهُم ذاتَ يومٍ ودعاني معهم ، قالَ : وما أُريتُه دَعاني يومئـذٍ إلا لـيُرِيَهم منِّي ، فقالَ : مـا تَقولـون في : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ حتَّى خَتَم السُّورَةَ . فقالَ بعضُهم : أُمِرنا أنْ نَحمَد الله ونستغفرَه إذا نَصَرَنا وفَتحَ علينا . وقالَ بعضُهم : لا نَـدرِي ، أو لـمْ يَقُـلْ بعضُهم شيئًا . فقالَ لي : يا ابنَ عباسٍ ، أكذلك تقولُ ؟ قلتُ : لا. قالَ : فما تقولُ ؟ قلتُ : هو أَجَلُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسـلَّم أعلمَـهُ الله له ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فَـتحُ مكَّـةَ ، فذاك علامةُ أَجَلِـكَ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ . قـالَ عُـمرُ : ما أَعلَمُ مِنهَا إلَّا ما تَعلَمُ .

قال الحافظُ ابنُ حجَرٍ رحمه الله تعالى في (الفتح : ٨/ ٧٨٣) : وفيه جواز تأوِيلِ القُرآن بما يُـفهَم مِن الإشارات ، وإنَّما يَتمكَّن مِـن ذلـك مَـن رَسخَت قدمُه في العِلمِ ، ولهذا قالَ عليٌّ رضي الله تعالى عنه : أو فهمًا يُؤتيه الله رجلًا في القُرآن ا.هـ

* للاستزادةِ : راجِع كتابَ (التَّفسيرُ الإشاريُّ : دراسةً وتقويمًا) لعُمر سالم الخطيب ، وهو في الأصلِ رسالةُ ماجستير تَـقدَّم بها مؤلِّـفُها إلى جامعةِ الإمام محمَّد بنِ سُعودٍ الإسلاميةِ ، وهي مطبوعةٌ في جامعةِ الإمامِ فقط ، ومحفوظةٌ في مكتبةِ الملكِ فهدٍ الوطنيةِ ، ويُمكنُ تصويرُها .

فهذا يَسيرٌ على كلِّ مَن أضلَّه اللهُ تبارك وتعالى غيرُ عَسيرٍ ، فأهلُ الضَّلالِ يَضَعونَ فِكرةً ، ثمَّ يُرشِّحونَ القُرآن بآياتِه مِن تلكَ الفِكرةِ ، فلابدَّ أن تَمُرَّ جميعُ الآياتِ على تلكَ الفكرةِ ؛ لكي تُصبَغ بتلك الفكرةِ ، ثم يَصير عندك بعدُ تفسيرٌ للقرآنِ العظيمِ : تفسيرٌ سياسيٌّ ، تفسيرٌ إشاريٌّ ، تفسيرٌ باطنيٌّ ، إلى غيرِ ذلك مِن التَّفاسيرِ (١) .

---

(١) المناهجُ المنحرِفةُ في تفسيرِ القرآنِ كثيرةٌ ، وكلُّها من التفسيرِ بالرَّأيِ المذمومِ ، وهو التَّفسيرُ بمُجرَّدِ الرأيِ والهوَى ، غيرُ مُستندٍ إلى نُصوصِ الشَّريعةِ ، وأكثرُ مَن وقعَ في ذلك هُم أهلُ البِدَعِ والمذاهِبِ الباطلةِ ، وسببُ انحِرَافِهِم في ذلكَ قاعدتُهم الباطِلةُ : اعتَقِدْ ثمَّ استَدِلّ ، وهيَ مُناقضةٌ لقاعدةِ أهلِ السُّنَّةِ وهي الاعتقادُ على ضوءِ النُّصوصِ ، فهؤلاء المنحرفُونَ اعتقَدُوا مُعتقداتٍ باطلةً وآراءَ زائفةً ، ثمَّ ذَهبُوا يستدلُّونَ عليهَا مِن النُّصوصِ ، فلَمْ تُطاوِعهُم ، فأخَذُوا يَلوُونَ أعناقَ النُّصوص ويُحمِّلونها ما لا تَحتملُ ، قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمهُ الله تعالَى في (مجموعِ الفَتَاوى : ١٣/ ٣٥٨) : إنَّ مِثلَ هؤلاءِ اعتقَدُوا رأيًا ، ثمَّ حَمَلُوا ألفاظَ القُرآنِ عليهِ ، وليسَ لهم سَلفٌ مِن الصَّحابةِ والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ ، ولا مِن أئمَّةِ الـمُفَسِّرينَ ، لا في رأيِهم ولا في تفسيرِهم ا.هـ

ومِن المناهجِ المنحرِفةِ في التفسيرِ :

* التفسيرُ الجهميُّ والمعتزليُّ :

وهُم الذين يُعطِّلونَ صِفاتَ الله تعالَى بزعمِ أنَّ إثباتَها تشبيهٌ للخالِقِ بالمخلوقِ ، والقاعدةُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ في ذلكَ : قولُه تعالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ فيُثبتونَ لله تعالَى مِن الأسماءِ والصِّفاتِ ما أثبتَه لنفسِهِ سبحانَه وما أثبتَه له رسولُه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، ويَنفونَ ما نفاهُ سبحانَه عن نفسِه وما نفاهُ عنهُ رسولُه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، وما سُكِتَ عنه لا يَتكلَّمونَ فيه بإثباتٍ ولا نفيٍ .

❖ مِن أمثلةِ التفسيرِ الجهميِّ و المعتزليِّ : تفسيرُهم لقولِه تعالَى : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ قالوا : المرادُ باليدَينِ القُدرةُ ، أو النِّعمةُ ، ولا يُمكنُ إثباتُ اليدَينِ لله تعالى ؛لأنَّه يُفضِي إلى التَّشبيه .

❖ الجوابُ عن ذلكَ : أمَّا التشبيهُ فلا يَلزَمُ على القاعدةِ السَّابقةِ .

وأمَّا قولهم : معناهُ القُدرةُ ، فلا فَضلَ لآدمَ عليهِ السَّلامُ في ذلكَ ، فالخَلْقُ كلُّه بقُدرةِ الله تعالى ، فيكونُ الكلامُ لَغوًا ، ولو كانَ المعنَى كذلك لجازَ لإبليسَ أنْ يقولَ : وأنا خَلَقتني بقُدرتِك . هذا مِن وَجه ، ووَجهٌ آخر : أنَّ القُدرةَ صفةٌ لا يُمكنُ أنْ تُثَنَّى ، فلا يُقالُ : قُدرةٌ وقُدرتانِ .

و قولهم : معناهُ النِّعمةُ ، فالجوابُ عنه كذلك مِن الوجهَينِ السَّابقَينِ .

* التفسيرُ الباطِنيُّ :

وهو زعمُهم أنَّ للنُّصوصِ ظاهرًا يعلمُه العامَّةُ ، وباطنًا لا يعلمُه إلا الخواصُّ من كُبرائِهم ، وأنَّ المعنَى الباطِنَ هو المرادُ =

** نتيجة هذا التفسير المنحرف على المجتمعات الإسلامية **

فأكبرُ خطأٍ وقعَ هو تفسيرُ الإسلامِ تفسيرًا سياسيًّا، وتأويلُ رسالةِ القرآنِ وتعاليمِ الرَّسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وتاريخِ الإسلامِ في ضوءِ هذا التفسيرِ، الذي نَجَم عنه، وظَهر عنه، ونَتَج عنه قيامُ حركاتٍ دينيَّةٍ سياسيَّةٍ متطرِّفةٍ، تَعملُ ضِدَّ الأنظمةِ السياسيَّةِ القائمةِ، إسلاميَّةً كانت أو غيرَ

= وأمَّا الظاهرُ فغيرُ مُرادٍ، وهذا الانحرافُ وقَعت فيه طوائفُ مختلفةٌ، كغُلاةِ الصُّوفيَّةِ، والرَّوافِض .

❖ فمِن تفسيرِ غُلاةِ الصُّوفيَّة : تفسيرُهم لقولِه تعالَى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ قالوا : الظاهرُ كما فَهِمَ العامَّة، لكنَّ معناهُ المرادُ على الحقيقةِ هو : أنَّه ما يَذهَبُ مِن هذا العَالَمِ قُطبٌ مِن الأقطابِ ووَليٌّ مِن الأولياءِ، إلَّا أَبْدَلْنا منه قُطبًا ووَليًّا آخرَ يَتولَّى شُؤونَ الكونِ !!

❖ ومِن تفسيرِ الرَّوافِض : قولهم في قولِه تعالَى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ قالوا : المرادُ بالبقرةِ عائشةُ . ونحنُ أهلُ السُّنةِ نقولُ كما قالَ الله تعالَى : ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾ فهي أُمُّنا أمُّ المؤمنينَ الحصانُ الرَّزانُ المبرَّأةُ مِن فوقِ سبع سماواتٍ، وهي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نَتقرَّبُ إلى الله تعالى بحُبِّها، وإنَّما يُريدُ هؤلاءِ أنْ يطعَنُوا فيهَا وفي غيرِها مِن الصَّحابةِ لأنهم نَقَلَةُ الدِّين الصحيحِ، فهُم يُريدونَ بالطَّعن فيهم هَدْمَ الدِّينِ، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ .

وأمَّا الجوابُ عن مِثلِ هذه التفاسيرِ فيسيرٌ، فإنَّها مع كونِها لم يَرِدْ فيها شيءٌ مِن النُّصوصِ ولا مِن أقوالِ السَّلفِ، هي مُناقضةٌ للنُّصوصِ، و معانٍ لا تَحتمِلُها الآياتُ مِن حيثُ اللُّغةِ، فبُطلانُها واضحٌ لكلِّ ذي عينَين .

❋ تفسيرُ الآياتِ على ضوءِ الإعجازِ العِلميِّ :

وهذا المنهجُ قد كَثُر في هذا العصرِ بعدَ ظُهورِ الاكتشافاتِ الحديثةِ، و ليسَ كلُّه مردودًا، وليسَ كلُّه مقبولًا كذلكَ، بل فيه ما هو صحيحٌ، وفيه ما هو خِلافُ ذلك، ثمَّ إنَّ تنزيلَ الآياتِ على الاكتشافاتِ البشريَّةِ لابدَّ فيه مِن ضوابطَ مُعيَّنةٍ، لأنَّ كثيرًا مِن الاكتشافاتِ التي يُقالُ بها يأتي فيما بعدُ ما يُناقِضُها، فإنْ قِيلَ إنَّ الآيةَ تُشيرُ إلى كذَا مما اكتشفَه البشرُ بالتَّجاربِ، ثمَّ تبيَّن بعدُ بطلانُ ذلك الاكتشافِ، نُزِّلَ حُكمُ البُطلانِ على الآيةِ، وإنَّما الباطلُ هو تَنزيلُ الآيةِ على الاكتِشافِ الأوَّلِ .

مِن أمثلةِ ذلك : قولُ بعضِهم في قولِ الله تعالى : ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ قالَ : في الآيةِ إشارةٌ إلى عِلاجِ العَمَى وذلك أنَّ القميصَ عَلِقَ فيه شيءٌ مِن عَرقِ يُوسفَ عليهِ السَّلامُ، فهذا دليلٌ على أنَّ في العَرقِ مادَّة تُساعِد في عِلاجِ العَمَى، ثمَّ تبيَّن بعدُ بُطلانُ هذا الكلامِ . فتَكلَّم حينئذٍ مَن تكلَّم على كتابِ الله تعالَى، وكتابُ الله تعالى بريءٌ مِن ذلكَ كلِّه .

إسلاميةٍ ، بِدَعوَى إقامةِ الحكومةِ الإلٰـهيَّـةِ ، و وَصل الأمرُ إلى الخطورةِ القُصوَى ، إذْ إنَّ الشبابَ المسلمَ في الوطنِ العربيِّ وفي خارجِه بدأَ يتأثَّر بهذه التفاسيرِ السياسيَّـةِ المتطرِّفةِ ، فيؤدِّي دَورَ المواجهَـةِ السياسيَّـةِ ليتحـطَّم على صخرَتِها بدُونِ فائدةً ، مُتوَهِّمًا أنه قـد أدَّى دورَ الجهـادِ في سـبيلِ الله ، وفي سـبيلِ الإسـلامِ العظيمِ .

لاحرجَ ، إنَّهم يُريدونَ أنْ يُجاهِدوا في سبيلِ الله ، فليفْـتَعلُوا ميدانًا يقولونَ : هو ميدانُ الجهادِ في سـبيلِ الله ، بِلا ضابطٍ ولا رابطٍ ، وليتَّخِذوا مِن الأدواتِ يَزعُمون ذلك جهادًا في سبيلِ الله مِـن أجـلِ أنْ يُـؤدُّوا بتلك الأدواتِ وظيفَـةَ الجهادِ في سبيلِ الله .

هذه الظَّاهرةُ السَّائدةُ في كلِّ مكـانٍ تقريبًـا تُـقدِّم أسـوأَ نتيجـةٍ للتَّـفسيرِ السـياسيِّ لرسـالة القـرآنِ ، والحقيقةُ أنه ليستْ هُنالِك مِصداقِيَّـةٌ شرعِيَّـةٌ ولا عقليَّـةٌ لمثلِ هذه التفاسيرِ ، فهي قد نَجَمتْ عن تأويـلٍ خاطئٍ لِرسـالةِ القُـرآن العظـيمِ ، وتطبيـقٍ خـاطئٍ لهـا ، وسـوءِ فَـهْمٍ للتـاريخِ الإنسـانيِّ والإسـلاميِّ ، والانخداعِ بسَرابِ الأمانيِّ .

** بـداية ظهور التفسير السياسي .. ومعالـمه **

والسؤالُ الآنَ : كيفَ نشأَ هذا التفسيرُ السياسيُّ الخاطئُ لِرسالةِ الإسلامِ ؟ في الجوابِ عن هذا السُّـؤالِ البدايةُ لتصحيحِ مَسارِ الوَعيِ للعَملِ برِسالةِ القُرآنِ العظيمِ .

بدايةُ ظُهورِ التـفسيرِ السياسيِّ : كانتْ معَ أبِي الأَعلَى المودُودِيِّ الذي وُلِدَ في العامِ الثالثِ بعـدَ الـمِئَـةِ التاسعةِ وألفٍ (١٩٠٣) ، المتوَفَّى سنةَ تِسعٍ وسبعينَ وتِسعمئةٍ وألفٍ (١٩٧٩) ، قـدَّم تصوُّرًا في إحدَى المحاضراتِ التي ألقاها في مدينةِ (لاهُور) سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وتِسعمئةٍ وألفٍ (١٩٣٩) حولَ ما سـمَّاه : (نَـظَرِيَّـةُ الإسلامِ السِّيَاسيِّـة) فَـطُبِعَت مِن تلكَ المحاضرةِ عشراتُ الألوف من النُّسَخِ باللُّغةِ الأُردِيَّــةِ ،

وتُرجمت إلى اللُّغةِ الإنكليزيَّـة ، ثمَّ إلى كثيرٍ مِن اللُّغاتِ الهنديَّـة ، وظَهرَت التَّرجمةُ العَربيَّـةُ لأوَّلِ مـرَّةٍ سـنةَ ستٍّ وأربعينَ وتِسعمئةٍ وألفٍ (١٩٤٦) في (لاهُور) ، ومِن هناكَ وُزِّعَت في البلادِ العربيَّـةِ ، وظَهـرت الطَّبعةُ الثانيةُ لها في القاهرةِ سنةَ خمسينَ وتِسعمئةٍ وألفٍ (١٩٥٠) .

وفي هذه المحـاضَرةِ أشـارَ المـودُوديُّ إلى معـالمِ النَّظريَّــةِ السِّياسيَّــةِ في الإسـلامِ كـما فَهِمَـه ، والتـي ارْتَـكَزت على تفسيرِه لمعانِي الإلـٰهِ والرَّبِّ بالمعنَى السياسيِّ ! وأنَّ مهمَّة الرُّسلِ الحقيقيَّـةَ هي دعوةُ النـاسِ إلى النِّظامِ الإلـٰهيِّ ! هذا هو معنَى التَّوحيدِ عندَ المودوديِّ ، الذي وَقَـف عليه الرُّسل حياتَهم ـ كما يَـزعُم ـ وهو جَوهَـرُ النِّزاعِ ـ كما يَقولُ ـ بينَ النُّمرود وبينَ نبيِّ الله إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ !

أشارَ المودوديُّ إلى أنَّ النُّمرودَ لم يَـكُن مُنكِرًا لله أو لِـرُبوبيَّـةِ الله ، ولكنْ كانَ مُنكِـرًا لتطبيـقِ شريعتِـه التي سوفَ تَـفرِضُ عليه التَّـنازُل عن سُلطـانِه الأرضيِّ ، فمَن يَـرفُض الحكـمَ بـما أنـزلَ الله إنَّـما يَـرفُض أُلوهيَّـةَ الله ، فجَـعل أساسَ دَعوتِهم للتَّوحيدِ في هذه الدُّنيا ـ يعنِي : الرُّسلَ ـ أنْ يُقيموا الدَّولةَ الإلـٰهيَّــةَ ، وهو الأمرُ الذي ليسَ عليه دليلٌ في الكتابِ ولا في السُّـنَّـةِ .

إنَّ المودوديَّ أخضعَ القُرآنَ العظيمَ وتعاليمَ الرَّسولِ وسيرتَه صلَّى الله عليـه وعـلى آلـه وسـلَّم لفِكـرةِ الحاكميَّـةِ لدرجةِ أنه قدَّم تفسيرًا جديدًا للإسلامِ أساسُـه الـدَّعوةُ إلى الانقـلابِ السِّـياسيِّ ، وقـالَ : هـي مهمَّـةُ الرُّسلِ . فمهمَّـةُ الرُّسلِ ـ كما يدَّعي ـ هي إحداثُ الانقـلابِ السِّـياسيِّ في كـلِّ قـومٍ أُرسِـلَ فـيهِم رسولٌ . قالَ : لم يَـكُن بينهُم خلافٌ في وجودِ الله ، وفي أنه خَلَق الخلْقَ ، وبيدِه مَلَـكُوتُ كـلِّ شيءٍ ، فمِـن الظَّاهرِ أنَّ الرُّسلَ ما جاؤُوا ليدعُوهُم إلى تلكَ العقيدةِ التي كانوا يَعتقدُونَها ، ويَعترفونَ بها ! [1]

---

(١) وكانَ مِن آثارِ هذه النظريَّةِ المنحرفةِ تشكيلُ الجماعةِ الإسلاميَّةِ بالقارَّةِ الهنديَّةِ للدَّعوةِ إلى أفكارِ صاحبِها ، فقد تشكَّلت الجماعةُ الإسلاميَّةُ بالقـارَّةِ الهنديَّةِ على يدِ زعيـمِها أبي الأعلَى المودوديُّ في أغسطس عام ١٩٤١ ميلادي وذلكَ بهَـدَفِ إقامةِ حكومةٍ إسلامـيَّةٍ ، علَى أساس من الثَّوراتِ والانقِلاباتِ ، ولهذا يَقولُ أبو الأعلى المودوديُّ في كتابه (تذكرة دعاة الإسلام : ص : ٥٠) مبيِّـنًا أصلًا أصيلًا =

وعندَما تُرجِـمَت أعمالُ المودوديِّ إلى اللُّغةِ العربيَّـةِ ، خاصَّةً (نَظريَّـةُ الإسلامِ السِّياسيَّـةِ) و (الجهادُ في سبيلِ الله) وكتابُـه (المصطَلَحاتُ الأربعَـةُ) قامَ الكاتبُ والنَّـاقدُ الأدبيُّ ! سيِّد قُطب بتـبَـنِّي هذا التَّـفسـيرِ السـياسيِّ والدَّعوةِ إليه في تفسيرِه المشهورِ (فـي ظِــلالِ القُرآنِ) في الطَّبعةِ الثَّـانيةِ منهُ . الـذي

= مِن أُصول دعوتِه التي قامت عليها جماعتُه : دَعوتُنا لجميعِ أهلِ الأرضِ أنْ يُحدِثوا انقلابًا عامًّا في أصولِ الحكمِ الحاضرِ الذي استبدَّت به الطَّواغيتُ والفَجرةُ الذين مَلؤوا الأرضَ فسادًا ، وأنْ يَنتزِعُوا هذهِ الإمامةَ الفِكريَّة والعمليَّة مِن أيديهم حتَّى يأخُذَها رجالٌ يُؤمنونَ بالله واليومِ الآخِرِ ويَدينونَ دِين الحقِّ ، ولا يُريدونَ عُلوًّا في الأرضِ ولا فَسادًا ا.هـ فهذه كما تَرى دعوةٌ صريحةٌ للخُروجِ على الحكَّامِ ، مع تكفيرِه إيَّاهم ، وهذا أصلُ دينِ الخوارجِ ، وهذا كما سيأتي ممَّا كانَ يدعو إليه سيِّد قُطب الذي تبنَّى أفكارَ المودوديِّ المنحرفةِ ، ودعا إليهَا .

* علاقةُ الجماعةِ الإسلاميَّةِ بالقارَّةِ الهنديَّة بحركةِ الإخوانِ المسلمينَ في مِصرَ :

ولهذه الجماعةِ علاقةٌ وثيقةٌ بحركةِ الإخوانِ المسلمينَ التي قامت في مِصرَ ، فالأهدافُ واحدةٌ ، والوسائلُ إلى تلك الأهدافِ كذلكَ ، يَقولُ أَليفُ الدِّين التُّرابي في كتابه في سيرةِ المودوديِّ (ص : ٢٠٨) مُبيِّنًا العلاقةَ بينَ الحركتَين تحتَ عنوان (دارُ العُروبةِ للدَّعوةِ الإسلاميَّة) : وقد أُقيمَت هذه الدَّارُ لنَقلِ كُتبِ الجماعةِ الإسلاميةِ إلى اللُّغةِ العربيَّة ، ولتَرجمةِ كُتبِ الإخوانِ المسلمينَ مِن اللُّغةِ العربيَّةِ إلى اللُّغةِ الأُرديَّة ، هذا مِن ناحية ، ومِن نا حيةٍ أُخرى تَعملُ هذه الدَّارُ كالواسطةِ بينَ الجماعة الإسلاميَّة والإخوانِ المسلمينَ والحركاتِ الإسلاميَّةِ الأُخرى في العالمِ العربيِّ ، فتمكَّنت هذه الدارُ مِن نقلِ كثيرٍ مِن الكُتبِ للأستاذِ المودوديِّ إلى اللُّغةِ العربيَّةِ ، كما تمكَّنت مِن ترجمةِ كثيرٍ مِن الكُتبِ للإمامِ الشَّهيدِ حَسَن البنَّا ، والشَّهيدِ سيِّد قُطب ، والأستاذِ مُحمَّد قُطب وغيرِهم مِن قادةِ الحركةِ الإسلاميَّةِ في العالمِ العربيِّ مِن اللُّغةِ العربيَّةِ إلى اللُّغةِ الأُرديَّة

* ولهذا كانَ مِن سماتِ دعوةِ هذه الجماعةِ كما في المصدرِ السَّابقِ (ص : ١٧٩) :

السِّمةُ الثامنةُ لهذه الدعوةِ : هي تَجنُّب الوُقوعِ في الخلافاتِ الفَرعيَّة بينَ المسلمينَ كانت فقهيَّـةً أو عَقديَّـةً ا.هـ فالخلافاتُ العقديَّـةُ في نَظرِ الجماعةِ خلافاتٌ فرعيَّة !! ولهذا كانت الجماعةُ ولا زالت تَضُمُّ تحتَ لِوائها طوائفَ مختلفةً حتَّى أَدخلَت طوائفَ مِن غُلاةِ الصُّوفيَّة في الهندِ كالبِريلويَّةِ والدِّيوبَنديَّةِ وغيرِها ، كما ذُكِرَ في المصدرِ السَّابق ، وهذا مبنيٌّ على قاعدةِ الإخوانِ المسلمينَ : نَجتَمِعُ فيما اتَّفقنا عليهِ ، ويَعذُرُ بَعضُنا بَعضًا فيما اخْتلفنَا فيه !!

ولهذا أيضًا نَرى المودوديَّ مِن المؤيِّدينَ للثَّورةِ الرَّافـضيَّةِ في إيران حيثُ يقولُ : وثَورةُ الخمينيِّ ثورةٌ إسلاميَّـةٌ !! والقائمونَ عليها هم جماعةٌ إسلاميَّة وشبابٌ تلقَّوا التربيةَ الإسلاميَّة في الحركاتِ الإسلاميَّة ، وعلى جمـيعِ المسلمينَ عامَّة !! والحركـاتِ الإسلاميةِ خاصَّةً !! أنْ تُؤيِّدَ =

يَمتَلِكُ الطَّبعَةَ الأُولَى مِن (ظِلالِ القُرآنِ) لا يَجِدُ أثـرًا لنَـظرِيَّـةِ الحاكِـمِـيَّـةِ فيـه ، وإنَّـما ظهَـرَت نَظرِيَّـةُ الحاكِمِيَّـةِ في الطَّبعةِ الثانيةِ مِن (ظِلالِ القُرآنِ) لم يَـكُن على بالِ الرَّجلِ هذا الهـراءُ ، وإنَّـما تلـقَّـفَـهُ مِـن ذلكَ المبتَدِعِ الضَّالِّ ، فسارَ خلفَه ، ونَـهَج نَهجَه ، ونَسجَ على مِنوالِـه ، وشَحَن (الظِّلالَ) و (المعالِـمَ)[1] بهذه النَّـظريَّـةِ المبتَدَعةِ التي ليسَ لها أصلٌ في دينِ الله ربِّ العالمينَ .

وهذا شاهدٌ من أهلِها ، الكاتبُ الصَّحافيُّ ـ وهو مبتدعٌ أيضًا ـ فَهمِي هُوَيدِي ، يقولُ : ونحنُ لا نكـادُ نَعثُر على إشاراتٍ لمعنَى الحاكميَّـةِ أو لِلَفظِها في الكتاباتِ الإسلاميَّـةِ المبكِّـرَةِ للأستاذِ سيِّد قُطب ، وطِبقًـا لما هو مُتاحٌ مِن مصادرَ بينَ أيدينا ، فـإنَّ أوَّل ظُهـورٍ لفكـرةِ الحاكميَّـةِ في كُـتبه كـانَ في تفسـيرِهِ للقُـرآنِ المعروفِ بـ (الظِّلالِ) الذي صَدَر بعد مِحنةِ اعتِـقَاله الأولى سنةَ أربعٍ وخمسينَ وتسعمئةٍ وألفٍ (١٩٥٤)

= هذه الثَّورةَ كلَّ التأييدِ ، وتَتعاونَ معها في جميعِ المجالاتِ ا.هـ انظر : (الشَّقيقانِ المودوديُّ والخمينيُّ : ص : ٣) نسألُ الله العفوَ والعافيةَ .

(١) يقولُ سيِّد قُطب في كتابه (مَعالِم في الطَّريقِ) تحتَ عُنوان (طبيعةُ المنهَج القُرآنيِّ) :

لقد شَاءتْ حِكمةُ الله تعالَى !! أنْ تكونَ قضيَّةُ العقيدةِ هي القضيَّة التي تتصدَّى لها الدَّعوةُ مُنذ اليومِ الأوَّلِ للرَّسالةِ ، وأنْ يبدأَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم أُولى خُطواته في الدَّعوةِ بدعوةِ الناسِ أنْ يَشهدُوا : أنْ لا إله إلا اللهُ ، وأنْ يَمضيَ في دعوتِه يُعرِّفُ الناسَ بربِّهم الحقِّ ، ويُعَبِّدَهم له دُون سِواهُ . ولم تكن هذه ـ في ظاهرِ الأمرِ وفي نَظرةِ العقلِ البشريِّ المحجوبِ ـ هيَ أيسرَ السُّبلِ إلى قُلوبِ العَربِ ، فلقد كانُوا يَعرفونَ مِن لُغتِهم معنَى (إلـٰه) ومعنَى : (لا إلـٰه إلا الله) . كانوا يَعرفونَ أنَّ الألوهيَّة تعني : الحاكميَّة العُليَا !! وكانوا يَعرفونَ أنَّ توحيدَ الألوهيَّةِ وإفرادَ الله عز وجلَّ بها معنَاه : نَزعُ السُّلطان الذي يُزاوِلُه الكُهَّان ومشيخةُ القبائلِ والأمراءِ والحكَّامِ ، وردُّه كلَّه إلى الله !! السُّلطان على الضَّمائر ، والسُّلطان على الشَّعائر ، والسُّلطان على واقعيَّات الحياةِ ، والسُّلطان في المالِ ، والسُّلطان في القضاءِ ، والسُّلطان في الأرواحِ والأبدانِ .. كانوا يَعلمون أنَّ (لا إله إلا الله) ثورةٌ على السُّلطانِ الأرضيِّ الذي يَغتصِبُ أولى خَصائِص الألوهيَّة ، وثورةٌ على الأوضاعِ التي تقومُ على قاعدةٍ مِن هذا الاغتصابِ ، وخُروجٌ على السُّلطاتِ التي تَحكُم بشريعةٍ مِن عندِها لم يأذَن بها اللهُ .. ولم يكن يَغيبُ عن العَربِ وهم يَعرفونَ لُغتَهم جيِّداً ويَعرفونَ المدلولَ الحقيقيَّ لدَعوةِ (لا إله إلَّا الله) ماذا تعني هذه الدَّعوةُ بالنِّسبةِ لأوضاعِهم ورِياسَاتهم وسُلطانهم ، ومِن ثَـمَّ استقبَلوا هذه الدَّعوة أو هذه الثَّورَة !! ذلك الاستقبالَ العنيفَ ، وحاربُوها هذه الحربَ التي يَعرفُها الخاصُّ والعامُّ ا.هـ

وهذا الفَصلُ كما أشارَ في مقدِّمته منقولٌ مِن تفسيره (في ظلالِ القرآنِ) من فصلِ التَّعريف بسورةِ الأنعامِ ، مع يسيرِ تصرُّفٍ .

إذْ نَجِدُه يَقولُ في تعقِيبه على الآيةِ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يقـولُ : إنَّ الـذي لا يَحكُم بـما أنـزلَ اللهُ إنَّـما يَـرفُض ألوهيَّــةَ الله ، فالأُلوهيَّــةُ مِـن خَصائِصـها ومِـن مُقتضَـاها : الحاكميَّــةُ التَّـشريـعيَّةُ .

فابتَدأَتْ نَظريَّـةُ الحاكميَّـةِ القانونيَّـةِ !! وادَّعَوا أنَّـها هي دعوةُ المرسَلِين !! وأنَّ الرُّسـلَ إنَّـما أرسـلَهم اللهُ تبارك وتعالى مِن أجلِ الحكمِ بتلكَ القوانينِ لا أكثرَ ، لم يُرسلْـهُم اللهُ تبارك وتعالى لدَعوةِ النـاسِ إلى خَلْعِ عبادةِ الأصنامِ والبُعدِ عن الشِّركِ ، وعبادةِ الله تبارك وتعالى وحدَه ، مع أنه ـ كما سيأتي ـ ليسَ عنـدَنا دليـلٌ لا في الكتابِ ولا في السُّـنَّـةِ أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ كانت عنـدَه أحكـامٌ يـدْعو النُّمـرودَ إليهـا ، لم يـأتِ بقوانينَ تشريعيَّـةٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وإنَّما دعا النُّمرودَ لِعبـادةِ الله تبـارك وتعـالى وحـدَه ، وإذا كـان النُّمرودُ يقولُ : إنه إلـٰـهٌ من دُون الله ، وإذا كان فرعونُ يقولُ : إنه هو الرَّبُّ ولا يعلمُ لهمْ مِن ربٍّ سواهُ ، فكيفَ يدعُوه وهو يدَّعي أنه الرَّبُّ إلى الحكمِ بما أنزلَ الرَّبُّ ؟!! هو يَدعُوه إلى أنْ يُـطَـلِّـقَ ما هو عليه مِـن الكُـفْرِ ، وأنْ يَعودَ إلى دِين الله تبارك وتعالى بخَلعِ كلِّ ما يُعبَـد مِـن دون الله تبـارك وتعـالى ، وبـتَرك هـذا الشِّركِ الذي قد أحاطَ بأقطارِ قَلبِه ونَـفْسِه وعقلِه ، والعَودةِ إلى عبادةِ الله تبـارك وتعـالى وحـدَه ، فجميـعُ المرسلينَ إنَّما دَعَوا الخلقَ إلى عبادةِ الله تبارك وتعالى .

ولكنْ جاءَ هؤلاءِ فـبَدَّدُوا طاقةَ الأمَّـةِ وأدخلوها في الصِّراعِ .

** علاقة سيد قطب بالثورة المصرية **

مع أنَّ الذي لا يَـعرِفُـه كثيـرٌ مِن النَّـاسِ أنَّ سيِّد قُطـب هو مِـن أكبرِ عواملِ قيامِ الثَّـورةِ المصريَّـةِ [1]

(١) الدَّعوةُ إلى الثَّوراتِ والانقلاباتِ مِن أهمِّ نتائجِ هذا التفسيرِ السياسيِّ لِرسالةِ الإسلامِ ، وسبقَ أنْ ذكرنَا ما قالَه المودوديُّ في بيانِه =

= لأصولِ دعوته القائمةِ على الثَّورةِ ، وكذلك يقولُ سيِّد قُطب الذي تبنَّى هذا التفسيرَ السياسيَّ ودعا إليهِ ، يقـولُ في تفسـيرهِ المشـهورِ (في ظلالِ القرآنِ : ٣/ ١٤٥) : وهذه المهمَّـةُ مهمَّـةُ إحداثِ انقلابٍ إسلاميٍّ !! عامٌّ غيرُ مُنحصـرٍ في قُطرٍ دون قُطـرٍ ، بـل ممَّـا يريـدُه الإسـلامُ ويضعُه نُصبَ عينَيه أنْ يَحدُث هذا الانقلابُ الشَّاملُ في جميعِ أنحاءِ المعمورةِ ، هذه غايتُه العُليَا !! ومَقصـدُه الأَسـمَى !! الـذي يَطمـحُ إليـه بِبَصـرِه ، إلا أنَّه لا مَندوحةَ للمسلمينَ أو أعضاءِ الحِزبِ الإسلاميِّ عن الشُّروعِ في مهمَّتِهم بإحداثِ الانقلابِ المنشودِ ، والسَّعيِ وراءَ تغييرِ نُظمِ الحكمِ في بلادِهم التي يَسكنونَها .

أمَّا عن دورِه في الثَّورةِ المصريَّةِ ، فيقولُ فضيلةُ الشَّيخِ علي بنُ يحيَى الحدَّاديُّ حفظهُ الله تعالَى في كتابهِ القيِّمِ (صفحاتٌ مُهمَّةٌ مِـن حيـاةِ سـيِّد قُطب : ص : ٢١) :

* دورُه في الانقلابِ الذي أدَّى إلى إلغاءِ الملَـكيَّة وقيامِ الجمهوريَّـةِ :

كانَ يُشاعُ عن سيِّد قُطب أنَّه أديبٌ أحبَّ الإسلامَ بعدَ أنْ كانَ مُلحِدًا أو قريبًا مِن الإلحادِ ، فلما عَرفَ الإسلامَ أحبَّه وكَتبَ عنه ، ودعا الناسَ إليه ، فلماذا تُهاجمونَ هذا الرَّجلَ المسكينَ ؟

وحينَ قرأتُ كتابَ الخالِدي ـ المسمَّى : سيِّد قُطب مِن الميلادِ إلى الاستشهادِ ، وصفحاتُه تربُو على المئةِ السَّادسةِ !! ـ رأيتُ أنَّ سيِّد قُطب ليسَ مُجـرَّدَ أديبٍ مسكينٍ ، ولكنَّـه أحدُ حملةِ رايةِ الإصلاحِ على مَنهجِ الخوارج ، شاركَ بقلمِه وفِكره في إسقاطِ الحكمِ الذي أدركَ البلادَ عليهِ ، وجعلَ مِن بيتِه مَقرًّا لِلضُّـبَّاطِ الذين أطاحُوا بمَليكِهم ، يَعقِدُونَ فيه المؤامراتِ السِّـرِّيَّـةَ في جُنحِ الظَّلامِ ، كانَ زعيمًا يُصدِرُ الأوامرَ فـتُطاعُ ، وحينَ تَـمَّت الثَّورَةُ كانَ أحدَ رجالِ مجلسِ قيادةِ الثَّورةِ .

فسيِّد ثائرٌ ، يَدعو إلى الثَّوراتِ ، وطَـبَّق ما يَدعو إليهِ فقام بالثَّورةِ في بلدِه ، وصَدَّرها إلى خارج بلادِه ، ورُبِّـيَ أُلوفٌ مُؤلَّفةٌ مِن شبابِ الأمةِ على فِكره ـ على أنه يُمثِّل الإسلامَ ، ظُلماً وزُوراً ـ ولو كانَ لهم عقولٌ واعيةٌ لتأمَّلوا عاقبةَ المنهج الثَّوريِّ في الإصلاحِ ، حيثُ كانَ رائدُه في هذا العصرِ ـ سيِّد قُطب ـ أولَ ضَحاياهُ ، إضافـةً إلى أنه لم يُـحقِّق الهدفَ المنشودَ مِن ورائِه ، وصَدقَ اللهُ حيثُ يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ ، وحيثُ يقولُ تعالَى : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ .

بعدَ هذه المقدِّمةِ إليكَ مُلخَّصًا مما أرَّخهُ الخالديُّ في كتابهِ عن دورهِ في (ثَورةِ الأحرارِ) : قالَ ما مُلخَّصُه :

بَدأَ تَخطيطُ الإخوانِ المسلمينَ للثَّورةِ على الملَـكِـيَّةِ في الأربعيناتِ ، وكانَ الضُّبَّاطُ الإخوانُ المعنيُّون يَقرؤونَ كثيرًا مِن مقالاتِ سيِّد قُطب ، وبعضَ كُتبه المشهورةِ آنذاكَ ككِتاب (العَدالةُ الاجتماعيَّـةُ) ، ولذلكَ فقد شبَّه بعضَهم سيِّد قُطب بالفرنسيِّ الشَّهيرِ (مِيرَابُو) الذي كانَ له دورٌ كبيرٌ في التَّمهيدِ للثَّورةِ الفرنسيَّةِ ، فأطلَقوا عليهِ (مِيرابُو الثَّورةِ المصريَّـةِ) .

لم يَقتصِرْ دورُ سيِّد على تأثيرِه الفكريِّ مِن خلالِ كُتبه ومَقالاتِه بل جَعَل مِن بيتِه مُنتدًى سِرِّيًّا لقادةِ الثَّورةِ ، يَقولُ سُليمان فيَّاض مُتحدِّثًا عن =

= زيارتِه لسيِّد في حديقةِ مَنزِله : سألتُه عن رأيِه في هذه الثَّورةِ؟

ابتَسَم ، وقالَ لي : هُنا تحتَ هذه الشَّجرةِ كانَ الضُّبَّاطُ الأحرارُ يَعقِدونَ بعضَ اجتماعاتِهم معي في فَترةِ التَّحضيرِ للثَّورةِ . ثمَّ دخلَ بيتَه وعادَ يَحمِلُ مَظروفًا ، أَخرجَ منه صُورًا وأَخذ يُريها لي واحدةً واحدةً ، وكانَ هو في كلِّ صورةٍ وتحتَ هذه الشَّجرةِ ، وكانت كلُّها صُورًا ليليةً أُخذَت في ضوءِ الفَلاش ، وفي كلِّ صورِه كانَ هؤلاءِ الضُّبَّاطُ الأحرارُ وهو بينَهم أبدًا واسطةُ العِقدِ .

ويقولُ محمودُ العَزَب : إنَّ رائِدَنا وأستاذَنا سيِّد قُطب هو الذي رَعَى الثَّورةَ جَنينًا فوليدًا وأَمرَنا أنْ نستعِدَّ لها. إنَّ الجيشَ لا يُمكِنُ أنْ يَنسَى أنَّ سيِّد قُطب هو أبو الثَّورةِ ، وأبو الثُّوَّارِ ، وتواضُعه يزيدُنا تعلُّـقًا به ، وإكبارًا لهُ .

ثمَّ قالَ : قُبيل الثَّورةِ بأيَّامٍ تلقَّينَا مِن الأستاذِ قُطب أمرًا بأنْ نكونَ على استعدادٍ ، وكنتُ على رأسِ تنظيمِ الإخوانِ المسلمينَ في بُور سَعيدٍ ، ولما تلقَّيتُ الأمرَ حضرتُ إلى القاهرةِ ، ومَضيتُ إلى مَنزلِ الأستاذِ سيِّد قُطب ، وكانَ في يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢م وكانَ لديه بعضُ قادةِ الثَّورةِ منهم البكباشي جَمال عبد النَّاصر ، وذَكرَ لي الأستاذُ سيِّد أنْ أكونَ أنا ومَن مَعي على أُهبةِ الاستعدادِ ، وأنْ يكونَ الإخوانُ المسلمونَ المدنيُّونَ على استعدادٍ أيضًا ، فإذا سَمِعنا بقيامِ الثَّورةِ كنَّا حُماتَها ، وحَفظةَ الأمنِ في بُور سَعيد ، وحَذَّرنا مِن سَفكِ الدِّماءِ .

* لمحاتٌ عن بعضِ جُهودِ ومكانةِ سيِّد قُطب عَقِبَ الثَّورةِ :

قالَ عبدُ الغَفورِ عطَّار الأديبُ المعروفُ وأحدُ المقرَّبينَ مِن سيِّد قُطب : كانَ هو ـ أيْ : سيِّد قُطب ـ المدنيَّ الوحيدَ الذي يَحضُرُ جَلساتِ مجلسِ قادةِ الثَّورةِ ، وكانوا ـ أيْ : أعضاءُ المجلسِ ـ يتردَّدُونَ على منزلِه في حلوان .

وقال عادِلْ حمودة : الذين عاصَروا تفاصيلَ الأيَّام للثَّورةِ يؤكِّدونَ أنَّ سيِّد قُطب كانَ له مكتبٌ في مبنَى مجلسِ قيادةِ الثَّورةِ ، وأنَّه كان يُقيمُ هُناكَ إقامةً شبهَ دائمَةٍ .

وقالَ سيِّد قُطب عن نفسِه : استغرقتُ في العملِ مع رجالِ الثَّورةِ ٢٣يوليو حتى فبراير شباط ١٩٥٣م عندَما بدأ تفكيري وتفكيرُهم يفترقُ حولَ هيئةِ التَّحريرِ ، ومنهجِ تكوينها . وقالَ : كنتُ أعملُ أكثرَ مِن ثِنتَي عشرةَ ساعة يوميًّا قريبًا مِن رجالِ الثَّورة ، معهم ومع من يحيط بهم . وبعد شهرٍ مِن نجاح الثَّورةِ المصريَّةِ أعدَّ رجالُها حفلًا تكريميًّا لسيِّد قُطب على مُستوى رفيعٍ في نادي الضُّبَّاط في الزَّمالِك ، وكانَ تحتَ رعايةِ رئيسِ الجمهوريَّةِ محمَّد نجيب ، لكنَّه اعتذرَ عن الحضورِ وأنابَ عنه جَمال عبد النَّاصر ، ولم يكتفِ بذلكَ بل أرسلَ برسالةٍ حملَها أنور السَّادات ، وتُليَت على الحاضرين . ثمَّ قامَ سيِّد وألقى كلمتَه وأعلَنَ فيها تخوُّفَه حتَّى بعدَ الثَّورةِ مِن السِّجنِ وما هو أشدُّ مِن السِّجنِ ، فقال جمال بصوتِه الجهوريِّ ما نصُّه : أخي الكبير سيِّد ، والله لن يَصلُوا إليكَ إلا على أجسادِنا جُـثَـثًـا هامدةً ، ونُعاهِدُك باسمِ الله ، بل نُجدِّدُ عهدنا لكَ أنْ نكونَ فداءَك حتَّى الموت .

لم يَدُم الصَّفاءُ بينَ عبدِ النَّاصر والإخوانِ ، بل انقَلبَ عليهِم وحَاوَل سيِّد أنْ يُصلِحَ بينَ الفريقَين لكن دُون جَدْوَى . =

وهو يقولُ : إنَّـها هي التي أفسَدَت البِلادَ والعِبادَ ، وهي التي أغرقَت المجتمـعَ في الكُفـرِ بـالله ، والحكـمِ بغيرِ ما أنزلَ الله .

هو أكبرُ عواملِ قيامِ الثَّورة المصريَّةِ ، حتَّى إنَّـه يُلقَّـبُ بـ (مِيرَابُـو الثَّـورةِ المصريَّــةِ) كالكاتـبِ السـياسيِّ والشَّاعرِ الفَرنسيِّ وهو اسْمُه : مِيرَابُو (مِيرَابو الثَّورةِ الفَرنسيَّـةِ) [1] وهذا (مِيرابُو الثَّورةِ المصريَّــةِ) هـو (عرَّاب الثَّورةِ المصـريَّـةِ) .

الضُّبَّـاطُ الأحرارُ عندَما قاموا بالثَّورةِ كانوا يُريدُون أنْ يَعودوا إلى الثَّـكناتِ ، والـذي تصـدَّى لهـم ، وكانَ قريبًا جدًّا معَهُم ، كانَ يبِيتُ معهم في مكانٍ واحدٍ ، وكان من أصدقائهم المقـرَّبينَ ، الـذي تصـدَّى لعَودةِ هؤلاءِ إلى الثَّـكناتِ ، وعودةِ الحـكمِ إلى المدنيِّـينَ هُـوَ .

= وبعدَ ذلك انضمَّ سيِّد قُطب إلى الإخوانِ رسميًّا في مارس ١٩٥٣ وعندَ ذلك بدأَ في ما يُسمِّيه بعضُ تلامذة منهجِه مرحلةَ (الإسلاميات الحركيَّـة) والذي يُمثِّـلُ في نَظرِهم النَّـظرةَ الصَّحيحةَ للإسلامِ فماذا فعلَ فيها ؟

تولَّى سيِّد قُطب أمورَ الثقافة و النشرِ في الجماعةِ ، فأشرفَ على إصدارِ جريدةِ الإخوانِ ، وكانَ يُلقي حديثَ الثلاثاءِ ، وانتُدِبَ إلى سوريا والأردن وفلسطين مُمثِّـلًا للجماعةِ .

وقيلَ : إنَّ سيِّد كان عُضوًا في التنظيمِ السِّرِّيِّ للإخوانِ ، وأنه أَوقَف الجريدةَ العلنيَّة ، وبدأ ضدَّ حكومة الثَّورةِ (حَربَ المنشوراتِ السريَّةِ) ، ونُسِبَ له الإشرافُ على النَّشرةِ التي كان يُصدِرُها التنظيمُ السريُّ (الإخوانُ في المعركةِ) والتي كانَ سيِّد يفضَحُ فيها عبدَ النَّاصر ، ويَذكُر عَمالته للأمريكانِ ولليهودِ . قالَ الخالديُّ عن هذه التُّهمةِ : نَسكُت عليها ونَتوقَّفُ فيها ، لأننا لا نَملِكُ أدواتٍ يقينيَّـةً للحكمِ لها أو عليهَا .

قلتُ : ليسَ في منهج سيِّد ولا نَظرتِه للدَّعوةِ الحركيَّةِ ما يأباها ، فهي تسيرُ علَى الخطِّ نفسِه (السِّرِّيَّـةُ ، الطَّعنُ في النِّظامِ الحاكمِ) بدَعوَى الدَّعوةِ إلى الله ا.هـ كلامُ الحدَّاديِّ حفظهُ اللهُ تعالَى .

(١) هو الكُونت أُونُورِي جَابْرِييل فـيكتور ريكتي (مِيرَابُو) ، سياسيٌّ فرنسيٌّ وخطيبٌ ثوريٌّ ، اشتَهر بدفاعِه المستمِيتِ عن حُقوقِ الشَّعبِ ، وُلِدَ عام ١٧٤٩ ، التَحقَ بالمدرسةِ العسكريَّةِ في باريس عام ١٧٦٧ ، تولى عام ١٧٨٩م رِئاسةَ نادي اليَعاقِبة ، الذي كان يُشكِّلُ مجموعةً قويَّـةً من الزُّعماءِ السياسيِّينَ الفرنسيِّينَ . انتُخِب قبلَ ذلك نائبًا عن الطَّبقةِ الثالثةِ ، وهي طبقةُ الشَّعبِ .

بعدَ اندلاع الثَّورةِ الفرنسيَّة صارَ ميرابو خطيبَها المفوَّه ، وكان يَدعو إلى قيامِ ملكيَّةٍ دُستوريةٍ ، تولَّى ميرابو عام ١٧٩١م رئاسةَ الجمعيَّةِ الوطنيةِ =

** نظرية المستبد العادل !! **

ونادَى بنَظريَّـةٍ مِن أغربِ النَّظريَّاتِ ، فسيِّد قُطب هو صاحبُ نظريَّـة (المستَبِدُّ العادلُ) [1] ومِن العجيبِ أنَّ الذي ردَّ على سيِّد قُطب في نظريَّـة (المستبدُّ العادلُ) رجلٌ كانَ خليعًا مُتَـهتِّـكًا ، لا يُعرَف عنه إلَّا كلُّ ما يَسوءُ مما يَـقتُل الأخلاقَ ولا يَخدِشُها : إحسان عبدُ القُدُّوس ، هو الذي تصدَّى لسيِّد قُطب وردَّ عليه ، قالَ : لا يُمكِنُ أنْ يُوجَدَ في العالَمِ مُستبدٌّ عادلٌ ؛ لأنه إذا كان مُستبِدًّا فلا يُمكِن أن يكونَ عادلًا ، وإذا كـان عادلًا فلا يُمكِنُ أنْ يكونَ مُستبِدًّا .

فهو الذي قالَ : لا تَرجِعوا إلى الثَّــكَناتِ ، وينبغـي علـيكم أنْ تَحكُمـوا المجتمـعَ بقبضـةٍ مِـن حديـدٍ ، لا تَرجِعُوا . فظلُّوا ، وكانوا يُريدونَ مَن يقولُ هذا الكلامَ ، فبَـقوا في أماكِنهم .

** فكرة نزع الملكيات الكبيرة وتفتيتها **

كثيرٌ مِن النَّاسِ لا يَعلمُ أنَّ صاحبَ فكرة نَزعِ المِلْكيَّاتِ الكبيرةِ مع تَـفْتِيـتِهَا بعدَ ذلكَ على مَن لا يَستحقُّ فيها

= وهو منصبٌ كان سيُمكِّنه من تحقيقِ منافعَ كثيرةٍ ، بَيْد أنه عاشَ حياةً ماجنةً حتَّى انهارَت صحَّته ، وتُوفِّي بعدَ ثلاثةِ أشهُرٍ ، ناطقًا الكلـماتِ التَّالية : أَحـمِلُ مَعي إلَى القَبرِ انهيارَ المَلَـكِـيَّـةِ .

(١) ذَكرَ الدُّكتورُ محمَّد عَفيفي أستاذُ التَّاريخ بجامعةِ القاهرةِ في كتابِه (المستبِدُّ العَادِلُ : دراسةٌ في الزَّعامةِ العربيَّـة في القَـرنِ العِشــرينِ) أنَّ أوَّلَ مَن تبنَّى هذه النَّظريَّة ودعَا إليها هو (الإمام !!) محمَّد عبدُه ، خِلالَ النِّصفِ الأخيرِ مِن القَرنِ التَّاسع عَشَر ، وقدَّمَ أفكارَهـا لأوَّلِ مـرَّةٍ بشكلٍ واضحٍ في مقالٍ له بعنوان : (إنَّما يَنهضُ بالشَّرقِ مُستبِدٌّ عادِلٌ) نُشِرَت بمجلَّة الجامعَةِ العُثمانيَّة في شهر مايو سنة ١٨٩٩ قصدَ به الـرَّدَّ على مَن يقولونَ بأنَّ صَلاحَ الشَّرقِ إنَّما هو في الأخذِ بالحياةِ النِّيابيَّـةِ ، وابتدأ المقالَ بقولِه : هل يُعدَمُ الشَّرقُ كلُّه مُستبِدًّا مِـن أهلِـه ، عـادِلًا في قومِه ، يتمكَّنُ به العَدلُ أنْ يَصنعَ في خمسَ عشرةَ سنةً ما لا يَصنعُ العقلُ وحدَه في خمسةَ عشرَ قرنًا ؟

ويَذكُر الدُّكتورُ كذلك في كتابِه أنَّ الرَّئيسَ المصريَّ جمال عبد النَّاصر كانَ تلميذًا مُخلِصًا لهذه النَّظريَّـةِ .

شِبرًا هو سيِّد قُطب ، سيِّد قُطب هو الذي أَوحَى إليهِم بِمُحاربَـةِ ما سمَّاه بالإقطاع ، وأنَّـه ينبغِي أن تُـنزَعَ جميعُ المْلكِيَّات ، فنُزِعَت ، وتَـفَـتَّت الثَّـرَواتُ ، وانْـقَلَب المجتمعُ رأسًا على عَقِب في التَّركيبةِ الاجتماعيَّـةِ [1] .

الإسلامُ يُسوِّي بينَ الناسِ في الحقوقِ والوَاجباتِ ، ويُفرِّقُ بينهم في الميزاتِ ، فليسَ عالـمٌ كجَهُـولٍ ، وليسَ باذلٌ كمُمسِك ، وليسَ شُجاعٌ كجبانٍ ، وليسَ صَنَاعٌ كأخرقَ [2] ، هذا عبَث !! فالإسلامُ لا يُسـوِّي بين الناس في كلِّ شيءٍ ، لا .

في الحقوقِ والواجباتِ كلُّهم عَبِيدُ الله ، ولا ينبغي لأحدٍ أنْ يفخَـرَ على أحدٍ ، ولكـنْ للعالِـم مكانُـه ، وكذلك للجَوادِ مكانُه ، وللشُّجاعِ مكانُه ، ولا بدَّ من اعتبارِ الميزاتِ والفُروقِ الفَرديَّـةِ .

دُمِّـرَت هذه الفُروقُ تدميرًا كاملًا في المجتمعِ ، وصارَ السِّـفْلَـةُ يَنظرُون إلى مَن آتاهُم الله تبارك وتعالى

---

(١) كانَ سيِّد قُطب مِن الدُّعاةِ إلى الاشتراكيةِ الإسلاميَّة !! ويَرى أنَّ الحلَّ ليسَ في الشُّيوعيَّةِ ولا في الرَّأسماليَّةِ بل في الإسلامِ الذي هو مَزيجٌ مِن كِلتَا النَّظريَّتينِ !! يقولُ في كتابِه (المعركةُ بينَ الإسلامِ والرَّأسماليَّة ص : ٦١) : ولابدَّ للإسلامِ أنْ يَحكُم لأنه العقيدةُ الوحيـدةُ الإيجابيَّـةُ الإنشائيَّة التي تَصوغُ مِن المسيحيَّةِ والشُّيوعيَّةِ معًا مَزيجًا كاملًا !! يتضمَّنُ أهدافَهما جميعًا !! ويزيدُ عليهما التَّوازُنَ والتناسُقَ والاعتِدال ا.هـ

وقد سُئِلَ الشيخُ محمَّد بنُ صالح العُثَيمِين رحمهُ الله تعالى عن هذا الكلامِ فقالَ : نقولُ له : إنَّ المسيحيَّـةَ دِينٌ مُبدَّلٌ مُغيَّر مِـن جِهـةِ أحبـارِهم ورُهبانهم ، والشُّيوعيَّـةُ دِينٌ باطلٌ لا أصلَ له في الأديانِ السَّماويَّةِ ، والدِّينُ الإسلاميُّ دِينٌ مِن الله عزَّ وجلَّ مُنزَّلٌ مِن عنده لم يُبدَّل ولله الحمدُ قالَ الله تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ومَن قالَ إنَّ الإسلامَ مزيجٌ مِن هذا وهذا فهو إمَّا جاهلٌ بالإسلامِ ، وإمَّا مغـرورٌ بـما عليه الأُممُ الكافرةُ مِن النَّصارى والشُّيوعيِّين ا.هـ انظرْ : كِتاب العَواصِم للشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى (ص : ٢٢) .

وكانَ مِن نتائج هذهِ الفِكرةِ قولُه بنَزعِ الملكيَّاتِ الكبيرةِ وتفتِيتها ، قالَ في كتابِه السَّابق (ص : ٤٣) : وفي يَدِ الدَّولةِ أنْ تَنـزعَ مِـن الملكيَّـاتِ وأنْ تَأخُذَ مِن الثَّرواتِ ـ بنِسبٍ مُعيَّنة ـ كلَّ ما تجدُه ضروريًّا لتعديلِ أوضاعِ المجتمعِ ا.هـ

ويقولُ كذلك (ص : ٤٤) : بل في يدِ الدَّولةِ أنْ تَنزعَ الملكيَّاتِ والثَّرواتِ جميعًا ، وتُعيدَ تَوزيعَهـا عـلى أسـاسٍ جديـدٍ ـ ولـو كانـتْ هـذه الملكيَّاتُ قدْ قامَت على الأُسُسِ التي يَعتَرِفُ بها الإسلامُ ، ونَمت بالوسائلِ التي يُبرِّرُها !! ـ لأنَّ دفـعَ الضَّـررِعن المجتمـعِ كلِّـه ، أو اتِّـقاءَ الأضرارِ المتوقَّعةِ لهذا المجتمعِ أولَى بالرِّعايةِ مِن حُقوقِ الأفرادِ ا.هـ

(٢) أيْ : ليسَ مَن يُجيدُ صَنعةً أومِهنةً أوحِرفةً ، كأَخرق لا يُجيدَ عملًا .

مما رَفَعهم اللهُ تبارك وتعالى به علَى أنَّهم خيرٌ منهُم ، انْـقَلبَ المجتمعُ رأسًا عـلى عَـقِب بسبَـبِه ، وبسببِ أفكارِه ، ثمَّ لـمَّا تَطلَّع إلى أنْ يكونَ صاحبَ كُرسيٍّ وزارةِ المعارفِ فمَنعُوه ، انْـقَلبَ علَيهِم ، فلمَّـا أُوذِي بسبَبِهم ، وقدَّر اللهُ عليه ما قدَّر مِن الإيذاء لـمْ يملِك نفسَه غَـضَبًا ، وهو مُـحدثٌ على دِيـن الله في فهمِـه والتعامُلِ معَه .

** تلميذ العقاد **

هذا رجلٌ كانَ تلميذًا للعَـقَّاد ، يَـفخَـرُ بأنه تلميذٌ للعقَّاد ، ويقولُ في كلِّ مكانٍ : تلميذُ العقَّـاد . ومـن أقوالِه المأثورةِ المعروفةِ : لقد قرأتُ في الدِّين وفي اللُّغةِ وفي الفَلْسفةِ وفي المنطِـقِ وفي البَـيطَرةِ وفي البَـيزَرةِ وفي الزِّراعَةِ وفي الصِّناعةِ وفي الفَـلَكِ ما شاء اللهُ لكي أفهَمَ العقَّادَ ، ولكـنِّي لـمْ أصِلْ من ذلكَ إلى شيءٍ بعد . العقاد !! تحتاجُ إلى أنْ تَقرأَ هذا كلَّه لكَي تَـفهَمَه ؟!! إذنْ هو رَديءٌ ؛ لأنَّ القُرآنَ والسُّـنَّـةَ لاشيءَ يَعلُوهمـا في سُموِّهما ، وفي عُمقِهما ، وفي طَهارَتِـهما ، وفي تأصِيلِـهما لِـقِيَمِ الحياةِ ، ومـعَ ذلـكَ نحـنُ نقـرأُ كـلامَ الله ونَـفهَمُه والحمدُ لله ، ونقرأُ كلامَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ونفهمُه والحمدُ لله ، فـإذا كُـنَّا نَقرأُ كلامَ العقَّادِ المبتَدِع الضَّالِّ ولا نفهمُه فهو كلامٌ رديءٌ .

لأنه هو الذي خَرَقَ له الـخَـرْقَ ، وفَـتـقَ له الفَـتْـقَ في شَـتمِ الأصـحابِ وسبِّـهم [1] ، واقـرأْ كُـتُبَ العـقَّادِ : (عَمرُو بنُ العاصِ) ، (مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ) ، (أبو الشُّهداءِ الحسينُ بنُ عليٍّ) ، و لذلك لـمَّا

---

(١) يكفيكَ في ذلكَ أنْ تَعرِفَ أنَّ العقَّادَ ألَّف كتابَه (مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ) ليسَ ترجمةً لسيرةِ هذا الصحابيِّ الجليلِ الذي هو خالُ المؤمنينَ ، ومِن كَتبةِ الوحي بينَ يدَي النبيِّ الأمينِ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ، بل كما قالَ هذا العقَّاد في مُقدِّمة الكتابِ (ص : ١٢) : زُبدةُ الصَّفحاتِ التَّاليةِ أنَّ رأسَ الدَّولةِ الأُمويَّةِ كانَ رَجُلًا قديرًا ، ولم يكن بالرَّجل العظيم !! ثمَّ يقولُ : فربَّما وُصِفَ الرَّجلُ بالقُدرةِ لأنَّـه مُقتـدرٌ عـلى بُلـوغِ مَقاصدِه ، واحتِجانِ منافعِه ، والإضرارِ بغيرِه ، ولكنَّه إذا وُصِفَ بالعظمةِ فإنَّما يُوصَف بها لفضلٍ يُقاسُ بالمقاييس الإنسانيَّةِ العامَّةِ !! ا. هـ =

ماتَ ناحَتْ عليهِ الرَّوافِضُ ، ولـمْ يَأْسَ عليهِ أهلُ السُّـنَّـةِ ، و غَـيَّر في المجتمعِ ما غَـيَّر مع أولئـكَ الـذين يُـعتَـبرون رَادتَه وهمْ مِن الفَسقَةِ المنحَرِفينَ ، الذين غـيَّروا تَركيبةَ المجتمعِ الإسلاميِّ المصـريِّ الفكريَّـةَ ، فـفَتَحَ على الغَرْبِ بضَلالاتِه ، وبجميعِ مَـبَاذِلِـه ، وصارَ الناس إلى ما صاروا إليهِ ، إذا قيلَ لهـم : ارْجِعُـوا إلى كتابِ الله . لا يَعرِفونَ كتابَ الله حتَّى يَرجِعُوا إليه .

** إلى كل قطبي **

هذا الرَّجلُ منبعُ ضلالٍ كبيرٍ ، ولا يَهولَـنَّك ، فإنَّ الإنسانَ أحيانًا يُـزكَمُ في كثيرٍ مـمَّن يُحِبُّهم ، فاعـتَـبِر ذلكَ كذلكَ ، ولا نُطالبُـك بِبُغضِ أحدٍ ، ولا بـأن تأخـذَ مِـنهُم موقِـفًا ، أنَـا أدعـو القُطبِيِّـينَ في مشـارقِ الأرضِ ومغاربِـها لا إلى تطليـقِه طلاقَ البـتَّـةِ ، ولا إلى حربِه ومُعاداتـه ، لا ، وإنَّـما أدعـوهُم إلى تَـقْوَى الله ، والنَّـظـرِ بالتَّجـرُّدِ في آثارهِ وفيما تَـركَ مِن تُراثٍ ، اتـقوا الله ، تأمَّـلوا في هذا الكلامِ الذي تَـرَكه هذا

= فأنتَ ترى أنَّ الخبيثَ لم يَدع لمعاويةَ رضيَ اللهُ عنه شيئًا مِن الفضلِ ولا مِن الفضيلةِ !!

ثمَّ يقولُ المجرمُ في آخرِ كتابِه بعدَ جولتِه المشؤومةِ في فصلٍ بعنوان (في الميزان !! ص : ١٢٤) : مِن هؤلاءِ أناسٌ في طبقةِ ابنِ خُلـدون يَضـعُ مُعاويةَ في ميزانِه فيكادُ يَحسبُه بقيَّة الخلفاءِ الرَّاشدينَ ، ويتمحَّلُ المعاذيرَ له في إسنادِ ولايةِ العَهدِ إليهِ ، مع فُسوقِه !! وخَلَلِ سياستِه !! وكراهةِ النَّاسِ لحكمِه ، حتَّى مِن أبناءِ قومِه !! ا.هـ

هكذا وبكلِّ وقاحةٍ يَصفُ صحابيًّا جليلًا مِن صحابةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ممَّن رضيَ الله عنهُم ورضوا عنـهُ !! بالفُسـوقِ في الدِّين وخللِ السياسةِ في الحكمِ ، فلم يَترُك له دِينًا ولا دُنيا . فاللَّهُمَّ سلِّم سلِّم .

هكذا قالَ الأستاذُ ، فماذا قال التِّلميذُ في حقِّ هذا الصحابيِّ الجليلِ ؟ يقولُ سيِّد قُطب في كتاب (كتب وشخصـيات : ص : ٢٠٦) : وحـينَ يَركنُ مُعاويةُ وزميلُه ـ يعني عمرَو بنَ العاصِ ـ إلى الكذبِ والغِشِّ والخديعةِ والنفاقِ والرِّشوةِ وشِراءِ الذِّمَم ، لا يَملِكُ عليٌّ أنْ يتدلَّى إلى هذا الدَّركِ الأسفلِ ا.هـ يقولُ الشيخُ الحدَّاديُّ حفظه الله تعالى تعقيبًا على هذه البذاءةِ : فهذه ستُّ صفاتٍ مِن أخبَثِ الصِّفاتِ وأقبحِها يصفُ بها سيِّـدٌ اثنَين مِن ساداتِ الصَّحابةِ وخِيارِهم وأهلِ الشَّأنِ فيهِم ا. هـ (صفحات مهمة : ص ٦٠) .

الرَّجُـل ، اعرِضـوهُ عـلى قلوبِــكم ، واجــعلوا ألسنتَــكم وراءَ قلـوبِكم ، ولا تجعلُـوا قلوبَــكم وراءَ ألسنتِـكم ، اتَّـقوا الله ، وتأمَّلوا فيه عارِضينَ إيَّـاه كما هي قاعدةُ المسلِمِ ، لا أقولُ مِن أهلِ السُّنَّـةِ ، المسـلِم الذي يَصدُقُ عليه وَصفُ الإسلامِ ، يَـعرِضُ كلَّ كلامٍ على كتـابِ الله وسُنَّــةِ رسـولِ الله صـلَّى الله عليـه وعلى آله وسلَّم ، فما وَافَق قُـبلَ ، وما خَالفَ طُرِحَ ولا كَـرَامة .

نحنُ لا نَدعو إلى بُغضِ أحدٍ ، ولا إلى معاداتِه ، ولا إلى تمزيقِ تُراثِـه ، ولا شيء ، فلتَـبقوا على ما أنتـمْ عليهِ يرحـمُكـم اللهُ ، ولكـنْ .. انْـظُـروا في هذا التُّراثِ ، واعرِضُوه على الكتابِ والسُّـنَّـة ، وكــفى خِـداعًا ، لا تَـكونوا إمَّعَات ، خَدَعكُم مَن خَدَعكُم .

نَعودُ إلى ما بدأنَـا به : وإنَّما غَـرَّهم مَن هداهُم اللهُ على يدَيـهِ للإسلامِ ، أو مَن يُحسِنونَ بـه الظَّــنَّ ، أو مَـن يَفهمونَه ؛ لأنَّهم رُبَّما قَرؤوا في كَتبِ أهلِ العِلمِ فلمْ يَفهَــمُوا ، وأكثـرُ هـؤلاءِ لـيسَ عنـدَهُم وقـتٌ أصـلًا للنَّـظرِ في كُتبِ أهلِ العِلمِ ، ولـمْ يَتـوقَّفوا عندَ حُدودِ معرفةِ العِلـمِ الفَـرضِ ، فـأرادُوا أنْ يَــعلَمُوا عِلْـمَ الكِـفايةِ ، ولا يَلزمُهم .

تَعلَّموا عِلمَ الفَرضِ ، واضْرِبُوا في سُـبُـلِ الحياةِ ، لترقِـيةِ الحياةِ على مِنهاجِ النُّبـوَّةِ ، لا يَلـزَمُ المسـلِمَ أنْ يَـكونَ عالِـمًـا ، هلْ يصيرُ كلُّ مُسلمٍ عالِـمًا ؟! هذا ضدَّ سُنَّـةِ الله في كَونِــه وفي خَلْقِـه ، لابـدَّ مِـن عالِــمٍ وجاهلٍ ، ولكنْ على كلِّ مُسلمٍ مُكلَّفٍ أنْ يتعلَّمَ مِن العِلمِ ما هو فرضُ عَـينٍ عليـه ، تَعلَّمـوا ، واعرِضُـوا عليهِ هذا الكلامَ الذي تَـحترِمونَه وتُـقَدِّرونَه ، ونحنُ لا نَــقولُ لكـم احْـتَـقِــرُوه ، ولا أَهمِلُـوه ، ولكــنْ اعرِضُوه على الكتابِ والسُّـنَّـةِ ، واتَّـقوا اللهَ ، اتَّـقوا اللهَ في أنفُسِكم ، فأنــتُم عـلى طريـقِ الضَّـلالةِ وعـلى سُبلِها ، اتَّـقوا اللهَ ، أنتم على شُعبةٍ مِـن شُـعَبِ الخـوارِج ، عُـودوا إلى الله ، واتَّــقوا اللهَ في أنفُسِـكم ، وفي أُمَّـتكُم .

أسألُ اللهَ ربَّ العالمينَ أنْ يَمُنَّ علينَا بالحقِّ ، اللَّهُمَّ أرِنَا الحقَّ حقًّا وارزُقنا اتِّبَاعَه ، وأرِنَا الباطِلَ باطلًا وارزُقنَا اجْتِنابَه ، اللَّهُمَّ أرِنَا الحقَّ حقًّا وارزُقنا اتِّبَاعَه ، وأرِنَا الباطِلَ باطلًا وارزُقنَا اجْتِنابَه ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ ، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم [1] .

❖❖❖❖❖

(١) كانَ الفراغُ من التَّعليقِ على هذه المحاضَرةِ النَّافعةِ في الدَّقائقِ الأخيرةِ مِن العامِ الهجريِّ ١٤٣٠ قُبيلَ مَغرِبِ يومِ الخميسِ ٣٠ مِن شهرِ ذي الحِجَّةَ المحرَّمِ ، والحمدُ لله الذي بنعمتِه تَتِمُّ الصَّالحاتُ ، نَسألُ الله تعالى أنْ يُعلِّمنا ما يَنفعُنا ، ويَنفعَنا بما علَّمنا ، ويَزيدَنا عِلمًا ، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .